محمد داني

المديح النبوي

في (على النهج) لاسماعيل زويريق

دراسة

الكتاب: المديح النبوي

نوعه: دراسة نقدية

المؤلف: محمد داني

الطبعة الأولى: ٢٠٢٢

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

إهداء

إلى روح زوجتي صامت ثريا التي غادرتني إلى دار البقاء صبيحة الثلاثاء ١٩/٦/٢٠١٨.. أهدي هذا العمل.. راجيا من الله تعالى أن يكتب أجره في حسناتها...

رحمها الله وأسكنها فسيح جناته....

محمد داني

تقديم:

الشعر اتجاهات ثلاثة: اتجاه تقليدي محافظ، متمسك بالتراث الشعري العربي القديم.. واتجاه التقليدي المبدع، و اتجاه إبداعي جديد.

وشاعرنا اسماعيل زويريق شاعر تقليدي - مجدد- وإذا ما قلنا تقليديا، فإنه " شاعر لغوي ،عربي، سلفي، عصري، ولكن على منهج فريد في بابه بين مناهج المعاهد السلفية والمدارس الإفرنجية، وبين مناهج المحافظة والتجديد، ومناهج الابتداع والتقليد" .وهو مؤمن بهذا الاتجاه رغم تقليديته، وكان يتمثل دائما قول مطران خليل مطران" أدرك أن اللغة غير التصور والرأي، وأن خطة العرب في الشعر لا يجب حتما أن تكون خطتنا، بل لهم عصرهم ولنا عصرنا، ولهم آدابهم وأخلاقهم وحاجاتهم وعلومهم، ولنا آدابنا وأخلاقنا وحاجاتنا وعلومنا. ولهذا وجب أن يكون شعرنا ممثلا لتصورنا وشعورنا لا لتصورهم وشعورهم، وإن كان مفرغا في قوالبهم، محتذيا مذاهبهم اللفظية.. "

وقد اعتبر الشعر خيال النفس، وصورة الطبع، وشعاع الخاطر، وعصارة الذهن...

ومن ثمة فإن شعر اسماعيل زويريق يمتاز بالصدق الشعوري النابع من دواخل نفسه. فالشعر عنده تعبير عما يجيش في الدواخل.. وإحساس خاص، يهز منافذ النفس. ولذا شعره ترجمة باطنية لنفس جياشة سريعة التحرك. وقد استطاع الشاعر اسماعيل زويريق بصدق شعوره أن ينقلنا إلى عوالمه الشعرية ويجعلنا نشاركه هذا الشعور كما عاشه ويعيشه هو...

وجماليات شعره تدفعنا إلى دخول عالمه الشعري، والفني بما يحضرنا من ذوق ومناهج.. إننا نؤثر شعره ، خاصة معارضاته و مولدياته.. أي مديحه النبوي.

وبنية شعره تتميز بتعدد المعنى والتوقف على السياق والمرونة . ومن هنا نرى شعره " **عبارة عن مجموعة متشابكة من العلاقات، وأن هذه العلاقات فيها الأجزاء والعناصر على بعضها البعض من ناحية، وعلى علاقتها بالكل من ناحية أخرى.** "

هذا كله يجعلنا نتساءل: هل يمكن اعتبار الشاعر الكبير اسماعيل زويريق من الشعراء الذين لقبوا بعبيد الشعر؟

وإذا قلنا أنه من عبيد الشعر فإننا نروم ما خصه ابن رشيق القيرواني، معلقا على كلام الأصمعي حول زهير بن أبي سلمى والحطيئة:" أنهما يتكلفان إصلاحه (أي الشعر)، ويشغلان به حواسهما وخواطرهما. "

والشاعر اسماعيل زويريق شاعر يتقن صنعته .. يمحص قوله قبل أن يلقي به إلى المتلقي، ولذا فهو شاعر فحل ويمكن اعتبار قصائده من المقلدات والمنقحات والمحكمات .. وهو يمكن تصنيفه في خانة الشعراء الذين قال فيهم الجاحظ: " **ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريثا، وزمنا طويلا، يردد فيها نظره، ويجيل فيها عقله، ويقلب فيها رأيه، اتهاما لعقله، وتتبعا على نفسه. فيجعل زماما علة رأيه ورأيته عيارا على شعره، إشفاقا على أدبه وإحرازا لما خوله الله تعالى من نعمته**". **ولقبهم الجاحظ في قوله " ليصير قائلها فحلا، جنديدا، وشاعرا مفلقا.."**

وشعر اسماعيل زويريق لا يخلو من صنعة، من حيث الدقة في البناء، والتأنق في المعنى. ولكن صنعته ليست مبنية على تكلف وإنما على ترو لسببين اثنين وهما: تصفية شعره، وترويقه.. أي البحث عن الجودة الشعرية والفنية في التصوير. فهو شاعر مجيد لا يعاظل بين الكلام، أي لا يكون كلامه شديد المداخلة، يركب بعضه بعضا ..ولا يأتي بغريب اللفظ ووحشيه حتى لا تثقل قصيدته، ويصبح كلامه مستهجنا

..صادق في شعره ومشاعره، مما يجعله شاعرا مطبوعا من الشعراء الذين قال فيهم ابن قتيبة:" من سمح بالشعر واقتدر على القوافي، وأراك في صدر بيته عجزه، وفي فاتحته قافيته، وتبينت على شعره رونق الطبع ووشْي الغريزة. وإذا امتُحن لم يتلعثم ولم يتزحر.. "

الفصل الأول:

المديح النبوي في (على النهج)

عندما نعود إلى الديوان الشعري (على النهج) لشاعر النخيل اسماعيل زويريق، والذي خصصه كله ، أي بأجزائه الخمسة للمديح النبوي، تحضرنا مجموعة من الأسئلة، منها:

- هل كان إسماعيل زويريق شاعرا حقا أم مقلدا في مديحه النبوي؟

- هل في معارضته أضاف جديدا إلى فن المديح؟. هل هي حجة له أم عليه؟

- هل محاكاته كما قال الدكتور محمد زهير في مقدمته ل(على النهج) محاكاة واتباع، أم توسل وتذرع؟ وبالتالي إضافة نوعية لفن المديح النبوي؟.

- هل صحيح أن الشاعر إسماعيل زويريق في معارضاته تميز في معالجة المشترك مع اختلاف بين في بناء تفاصيله؟

- كيف بنى قصيدة المديح النبوي في ديوانه (على النهج)؟. ما هي خصائص قصيدة المديح النبوي عنده؟. وما نوع اللغة التي وظفها في هذا المديح النبوي؟

كل هذا يدفعنا إلى دخول عوالم (على النهج) لتبين فن المديح النبوي عند شاعر النخيل إسماعيل زويريق..

- التشكيل في (على النهج):

يحتوي ديوان (على النهج) بأجزائه الخمسة على 136 قصيدة، تشغل حيز 468 صفحة. وهي موزعة على الشكل التالي:

- الجزء الأول: عدد قصائده :18 قصيدة. مجموع أبياتها 962 بيتا، وتشغل 66 صفحة.

- الجزء الثاني: يضم 15 قصيدة. مجموع أبياتها 664 بيتا، في 48 صفحة.

- الجزء الثالث: يحتوي على قصيدة خصصها لحياة الخلفاء الراشدين، وهي في 1119 بيتا، وتشغل 80 صفحة.

- الجزء الرابع: يتكون من خمسة عناوين: نبويات، ورباعيات، ونفحات من سيرته العطرة، وأغذاق من النور، ومناجاة نورانية، ومجموع أبياتها 1378، وتشغل 88 صفحة.

- الجزء الخامس: يتكون من 19 قصيدة، مجموع أبياتها 1916، في 144 صفحة.

نستنتج ان (على النهج) يضم 36 قصيدة، مجموع أبياتها 6039 بيتا...والديوان خصصه إسماعيل زويريق بكامله لفن المديح النبوي. وهذا أهله ليكون واحدا من شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم المعاصرين، ولو أنه لم يعاصر الدعوة الإسلامية في انبثاقها وظهورها وانتشارها. كما أهله ذلك لأن يكون رائدا من رواد فن المديح النبوي في العالم العربي والإسلامي..

المديح النبوي في (على النهج)

1- مفهوم المديح:

المديح فن الثناء . ولغة: التقدير. وهو ذكر للشمائل والمناقب. ويقال مدحه مدحا: أثنى عليه بما له من الصفات، نابع عن عاطفة الاحترام والتقدير، والتبجيل[1].

وهو في الأدب غرض شعري. جوهره الشكر، دافعه التكسب، مع ذكر مناقب الممدوح، والشهرة أو دوافع شخصية أخرى. وتشكل المديح مرجعية نفسية ذات ركيزتين: العاطفة والإعجاب بصفات وأخلاق الممدوح.

2- المديح الديني:

المديح الديني قوامه النازع الديني. ولقد عرف الإنسان الآلهة منذ القدم. وقف على قوتها، فالتجأ إليها بطقوسه ودعواته، و توسلاته، يهدف التقرب إليها، ونوال الرضا والخلاص والمغفرة والحماية والرعاية. وكان هذا التوسل منه ملمحا من ملامح المديح الديني كما عرف عند الحضارات القديمة.

كما نتلمس المديح الديني في مزامير داوود عليه السلام حيث نجده يتوجه إلى الله في صلاته كما في المقطع التالي:"***أنت مالك كل امرئ، لأنك واضعي بيد في بطن أمي، أحمدك أشكرك، فقد أتيت بالأعاجيب في خلقي. كونت عظامي في الخفاء، وضعتني على عينيك ودرت أموري في كتابك. أنا لا أحصي نعمك فهي أكثر عددا من الرمل***" [2]..

---

[1] - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار المعارف، مصر، ط 1، 1979، ص: 857

[2]- الدهان،(سامي)،المديح،ص:9

ومثل هذا المديح الديني أخذ به الشعراء والمداحون، وفي الآداب اليونانية أساطير تسرد سير الحروب وانتصارات الأبطال، وتمجد الشجاعة، وتشيد بالخير والصلاح، فاشتهرت الإلياذة والأوديسة وغيرهما...

واشتهر المديح الديني عند العرب منذ البعثة المحمدية، وانتشار الإسلام، فكان جل جلاله معشوقا، والشاعر المادح عاشقا[3].. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أساس هذا المديح باعتباره رمز الله، والمحبوب الذي ترجى شفاعته يوم القيامة، وتتشوق النفس لزيارة قبره وزيارة الأماكن المقدسة التي مر منها.

والشعر الديني يقوم على دعائم ثلاث، هي: الغزل العذري، والخمريات، والرمز.. فكان ينظم على شكل غزل وخمريات في المعاني والألفاظ، تمامه وجوهره أشبه بحالة السكر تفيض عن قلوب المحبين، إن سكر الخمرة زائل وسكر المحبة ذاتي لازم[4]...

كما يعتبر الشعر الصوفي ضربا من الشعر الديني، يقوم على الحب الإلهي ويعرف في عرف أصحابه بأنه حالة ذوقية أشبه بالسكر[5]..ويدخل فيه شعر التوسل لأنه ضرب من التضرع لطلب القرب، كما في قول الشاعر إسماعيل زويريق:

أكفني يا من لا تراه عيون ** وتراه قلوبنا الهيماء

إن ألمت بمهجتي معسرات ** وتلمت أنشاجها البرحاء

---

[3]- شبيب،(غازي)،فن المديح النبوي في العصر الملوكي، أشرف عليه وراجعه، ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية،صيدا،بيروت،ط1،1998،ص:34

[4]- غازي شبيب، المرجع نفسه، ص:42

[5]- لطفي جمعة،(محمد)،تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ت)ص:279

وفي هذا المديح الديني يكون الإقرار بوحدانية الله تعالى، وتعظيمه، والإقرار بعظمته وجلاله وربوبيته . وحضور الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا المديح الديني ليس حضور ذات وجسد، بل هو حضور روحاني مستنبط من السنة النبوية الشريفة في أقوال الرسول وأفعاله[6]...

ومن روافد المديح الديني وأشهرها: ***المديح النبوي، والبديعيات، والمولديات، والشوقيات...***

و(على النهج) متن شعري كله في المديح النبوي...وبالرجوع إليه ودراسة قصائده نجد أن الشاعر إسماعيل زويريق قد وعى مفهوم المديح النبوي والغرض منه. كما وقف على مرجعياته، وما قيل فيه، وما كتب عنه. وهذا الاطلاع شكل مرجعيته الشعرية. كما شكل إطاره النظري وعيه بالمديح الشعري وأهميته، وبالتالي شكل له قصدية لا تختلف عن القصدية القديمة من المديح النبوي، وهي التبرك والتذرع والتوسل ومدح خير البرية، والتقرب إلى الله تعالى بالحمد والثناء.

وعلى النهج شكل فن المديح النبوي، وهو يتكون من روافد هذا المديح مجتمعة، ومن أهم هذه الروافد، والتي ميزت شعر شاعر النخيل بشاعر المديح النبوي، والتي نجدها في (على النهج)، ومنها:

1- المديح النبوي:

المديح النبوي هو شعر كله في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، تعدد فيه صفاته الخلقية والخلقية، ويظهر فيه شاعره شوقه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وشوقه لزيارة البقاع المقدسة، والتي شكلت فضاء من حياته صلى الله عليه وسلم، وارتبطت به مع ذكر معجزاته وغزواته. ونظم سيرته شعرا[7].

---

[6]- محمد لطفي جمعة، المرجع نفسه، ص:279

[7] - ينظر: د. جميل حمداوي، شعر المديح النبوي في الأدب العربي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2007، ص: 10

وكثيرا ما يمتزج المديح النبوي بالمديح الصوفي والمولديات التي تشيد بالمولد النبوي. ويؤكد الدكتور زكي مبارك بأن المديح الديني فن " من فنون الشعر التي أذاعها التصوف، فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من الأدب الرفيع، لأنها تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص"[8]. وهو فن من فنون الشعر، يعبر به المادح/ الشاعر عن عواطفه الدينية، وحبه لرسول الأمة محمد صلى الله عليه وسلم. وهو من الأدب الرفيع الحسن. ويراد به إبراز العواطف الدينية، ومحبة رسول الله ورجاله، ونسائه، وذكر أفعاله، وسيرته. كما يراد به التقرب من الله تعالى، وكسب ثوابه وأجره وإحسانه. وأكثر هذا المديح النبوي بعد وفاة رسول الله، ورغم ذلك لم نسمه رثاء ولا مدحا. ويتناول مجموعة من الموضوعات، منها: أوصاف الرسول صلى الله عليه وسلم، ومعجزاته وشفاعته، وغزواته وتوسل الشعراء به، ومنزلته بين الأنبياء والرسل، وأسماؤه والصلاة والتسليم عليه، والشوق لزيارة البقاع المقدس (مكة- والمدينة المنورة- عرفات- منى- الصفا والمروة- بيت المقدس)...

ـ نشأة المديح النبوي:

كان العرب قبائل متفرقة. لهم نظامهم وشعائرهم، ولما ظهر الإسلام اجتمع العرب تحت لواء أمة واحدة، ووحد صفها دين واحد هو الإسلام.

وقد وظف الشعر في الدفاع عن الدعوة الإسلامية، والإسلام والمسلمين، ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان من الطبيعي أن يتضمن الشاعر المناصرة للإسلام مديحا لرسول الله، حيث يعد هذا المديح البذرة الأولى لفن المدائح النبوية.

وأول ما عرف من مديح نبوي، قيل في رسول الله صلى الله عليه وسلم، هو الشعر المنسوب إلى أبي طالب الذي قال فيه:

[8] - زكي مبارك، المدائح النبوية، مطبعة الشعب، القاهرة، ص:5

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل**

و أيضا:

حليم رشيد عادل غير طائش * يوالي إليها ليس عنه بغافل**

و كذلك قول جده عبد المطلب، إبان ولادة محمد صلى الله عليه وسلم:

وأنت لما ولدت أشرقت الأرض * وضاءت بنورك الأفق**

فنحن في ذلك الضياء، وفي* النور وسبل الرشاد تخترق**

ويعتبر الكثيرون أن قصيدة الأعشى التي مطلعها:

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا * وعادك ما عاد السليم المسهدا**

وكذلك قصيدة كعب بن زهير التي يفتتحها بقوله:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول* متيم إثرها لم يفد مكبول**

النواة الأولى لشعر المديح النبوي، ولو أن ظروفهما وباعثهما لا نعتد به في هذا المقام.

صحيح، أن القصيدتين أقرب إلى الشعر التكسبي الحافل بالكذب والنفاق منهما إلى شعر المديح النبوي الذي يكون وراءه صدق العواطف، والحب العارم والشوق المتأجج لرسول الله صلى الله عليه وسلم. فشعر المديح النبوي ينبع عن عاطفة لا مراء فيها، وعن صدق صوفي رفيع. وهذا ما دفع بالمقرئ في كتابه (نفح الطيب) إلى القول:" ***وإذا كان القريض في بعض الأحيان كذبا صراحا، والموقف من تركه والحالة هذه رغبة منه وله إصراحا، فخيره ما كان حقا، وهو مدح الله ورسوله، وبذلك يحصل للعبد منتهى سوله***"..

ومنهم من يقول بأن المديح النبوي أقدم من ذلك كثيرا. فقد روي عن عائشة رضي الله عنها قالت:" ***كان رسول الله صلى الله عليه وسلم***

يخصف نعله، وكنت جالسة أغزل، فنظرت إليه، فجعل جبينه يعرق وعرقه يتولد نورا، فبهت. فنظر إلي، فقال: ما لك بهت؟ فقلت: يا رسول الله، نظرت إليك فجعل جبينك يعرق ،وعرقك يتولد نورا، ولو رآك أبو كبير الهذلي لعلم أنك أحق بشعره. قال وما يقول أبو كبير. قلت: يقول:

ومبرئ من كل قبر حيضه وفساد مرضعة وداء معضل

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل

قالت: فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ما كان بيده وقام وقبل ما بين عيني، وقال جزاك الله خيرا يا عائشة، ما سررت مني كسروري منك"[9].

ويقال أن أول من امتدح النبي صلى الله عليه وسلم هو عمه العباس بن عبد المطلب، حيث قال فيه:

من قلبها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق

ثم هبطت البلاد لا بشر أنت ولا مضغة ولا علق

بلى نطفة تركب السفين وقد ألجم نسرا وأهله عزق

تنقل من حالب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طبق

حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق

وأنت لما ولدت أشرقت الأرض وضاءت بنورك الأفق

فنحن في ذلك الضياء وفي النور مسبل الرشاد نخترق

[9]- أبو نعيم، حلية الأولياء،ج2، ص:45

وقد انطلق المديح النبوي وتطور وازدهر مع انطلاق الدعوة الإسلامية، والفتوحات .. وقد ازدهر وعلا شأنه مع الشاعر البوصيري في القرن السابع الهجري، ومعارضه بميميته الشهيرة عبد الله الحموي التي يقول فيها:

شدت بكم العشاق لما ترنموا فغنوا وقد طاب المقام وزمزم

و كان هجرة النبي إلى يثرب مؤججة للصراع بين المسلمين وقريش، ومن والاهم من العرب. وكان الشعر أكثر الأسلحة فتكا. وقد عمد شعراء المشركين إلى هجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه. فاستأذن بعض المسلمين الرسول صلى الله عليه وسلم في أن ينتدب علي بن أبي طالب للرد عليهم. لكنه صلى الله عليه وسلم آثر أن يقوم بالرد شعراء الأنصار، حيث قال لهم:" ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟". فقال حسان بن ثابت:" أنا لها". ومن ثمة أصبح حسان شاعر الرسول وأبرز المدافعين عن الإسلام ورسوله[10]. ولكن شعره الإسلامي كان من قبيل المساجلات والنقائض مع شعراء المشركين، ومن هنا جاء المديح النبوي فيها عرضا. ومن أولى قصائده في نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، همزيته التي يهجو فيها أبا سفيان، والتي يقول فيها:

وجبريل رسول الله فينا * وروح القدس ليس له كفاء**

وقال الله قد أرسلت عبدا * يقول الحق إن نفع البلاء**

وإلى جانب حسان انبرى شعراء آخرون لنصرة الدعوة الإسلامية ونبي الأمة محمد صلى الله عليه وسلم. ومنهم: كعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة..

[10] - محمود علي مكي، صص: 11- 12

وفي العصر الأموي تحول المديح النبوي إلى مدح أهل البيت، وتعداد مناقب بني هاشم، وأبناء فاطمة. وكان من أهم شعراء المديح النبوي في هذه المرحلة: الفرزدق الذي خص النبي صلى الله عليه وسلم بميميته الشهيرة، التي مطلعها:

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب * ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب

بني هاشم رهط النبي فإنني * بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب**

و كان الاهتمام بالموضوع على مدى العصور لما فيه من التبرك والتضرع. فلا عجب لهذا الكم الهائل من القصائد، لأن فيه أجران: أجر الصلاة على خير الأنام، وهو الامتداح، وأجر الإجادة والتحسين[11]..

ومن أشهر شعراء المديح النبوي: الإمام الصرصري (- 656ه) و الإمام البوصيري (- 696ه)،وابن معتوق(- 707ه)، وابن نباتة المصري(- 710ه)، والشهاب محمود الحلبي(-765ه)،وابن الوردي(- 749ه)، والإمام البرعي(-803ه)..

وقد غدا في العصر المرابطي"***التسول إلى الرسول وإرسال القصائد إلى الروضة الشريفة موضوعا واسعا من موضوعات الشعر الأندلسي***"[12]...

وفي الأدب المغربي نجد زخما كبيرا من شعر المديح الديني. وتعتبر قصيدة الشاعر أبو عمرو ميمون بن علي بن عبد الخالق الخطابي المعروف بابن خيارة(- 637ه) في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، والتي يقول فيها:

---

[11] - أحمد دنيقة، (محمد)، معجم أعلام شعراء المدح النبوي، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص: 10

[12]- د. عباس، (حسان)،تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، بيروت، لبنان،ص:169

حقيق علينا أن نجيب المعاليا لننفي في مدح الحبيب المعاليا

ونجمع أشتات الأعاريض خبة ونحشد في ذات الإله القوافيا

رسول براه الله من صفو نوره وألبسه بردا من النور ضافيا

وما زال ذلك النور من عهد آدم ينير به الله العصور الخواليا[13]

و من أكثر الشعراء المغاربة اهتماما بالمديح النبوي: مالك بن المرحل، صاحب (المعشرات النبوية)،وابن الرشيد السبتي..

وقد كان الاحتفال بالمولد النبوي في المغرب ذا أثر في ازدهار فن المديح النبوي " ***ذلك أن أمراء البلاد وسلاطينها احتفوا بهذه السنة شديد الاحتفاء، فأقبل عليهم الشعراء يلقون بين أيديهم في ليالي المولد مدائحهم النبوية، وقد كانت هذه المدائح في أغلب الأحيان، تجمع بين مدح النبي ومدح آل البيت المتمثلين في الأمير أو السلطان. كما كانت تعالج إلى ذلك عناصر أخرى كفكرة الجهاد مثلا*** "[14]..

ويعتبر عصر المنصور الذهبي(السعدي) من أخصب الفترات في تاريخ فن المديح النبوي، ومن أشهر قصائد هذه الفترة:(نونية عبد العزيز الفشتالي في مدح خير البرية)،ومطلعها:

هم سلبوني الصبر والصبر من شاني

حرموا من لذة الغمض أجفاني

واهتمام المغاربة بالمديح النبوي دفع بالمقري إلى القول بأن أهل المغرب"***لهم في منازل الأمداح النبوية مقبل وتعريس***"[15]..

---

[13]- مبارك،(زكي)،المدائح النبوية في الأدب العربي،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،والقاهرة،ص:24

[14]- مجلة دعوة الحق،العدد 119

[15]- المقري، نفح الطيب،ج4،ص:443

وفي عهد العلويين نجد الشاعر الوزير الكنسوسي رائدا لشعر المديح الديني في عصره. ومن أشهر مولدياته لاميته التي يهنئ فيها السلطان مولاي عبد الرحمان، يقول في مطلعها:

عهدي بكم جيرة البطحاء موصول/ يا ناسي العهد إن العهد مسؤول

وحديثا بدأ الاهتمام بشعر المديح النبوي، حيث رأى الشعراء المعاصرون في الرسول صلى الله عليه وسلم داعية للتسامح الديني، والتآخي، واحترام الإنسان. كما رأوا فيه الموحد لشتات الأمة، وإخراجها من الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى المعرفة. ولذلك تمنوا لو ترجع عصور الإسلام الذهبية ثانية.. ومن ثمة أصبح الرسول صلى الله عليه وسلم رمزا للتعبير عن الإنسان والأمة وقضاياهما. وهذا تحقق بدرجة كبيرة في مديحهم النبوي.

من هنا نجد الشاعر المهجري جورج صيدح في قصيدته (محمد) مادحا النبي صلى الله عليه وسلم، ومشيدا بمواقفه السامية، ومنجزاته العظيمة...

وجه أطل على الزمان لألاؤه شق العنانْ

فيه شعاع الخيرا ت وفيه أنفاس الجنانْ

من ذا رأى طفلا ينا غي الله بالسبع المثان

يا صاحبيَّ بأي آ لاء السماء تكذبان؟

يا من سريت على البراق وجزت أشواط العنان[16]

كما نجد سامي البارودي يعارض البردة بقصيدة سماها (كشف الغمة في مدح سيد الأمة)،وأحمد شوقي بقصيدته(نهج البردة)...

[16]- الكيالي،(سامي)،الأدب العربي المعاصر في سوريا، دار المعارف،مصر،1968 ، ص:276

وفي المغرب نجد شعراء مغاربة انبروا لفن شعر المديح النبوي، أمثال: علال الفاسي، الذي أبدع في شعر المولديات، والمديح النبوي خاصة في يائيته الشهيرة التي ألقاها بين يدي محمد الخامس عام 1378ه،و التي يقول فيها:

يجيش الشعر في نفسي وتأبى * قوافيه لدعوته جوابا

رأيت محمدا فينا كتابا * وقد أصلى من الوحي كتابا

ومحمد بوخبزة في قصيدته (نفحات البردة) والتي يقول فيها:

هل آذن النور أن يمحو دجى الظلم

وهل رأى الوصل أن يقص من سقمي

وهل لكم رقية للقلب تنفعه * فإنه اليوم مقهور من الألم

وعبد الله كنون، وحسن الأمراني، ومحمد علي الرباوي، ومصطفى الشليح، واسماعيل زويريق.. وغيرهم...

وإسماعيل زويريق في (على النهج)، الطبعة الأولى 2015، التي بين أيدينا، قد قسمه إلى خمسة أجزاء. كلها في المديح النبوي.

2- البديعيات:

لغة: ورد في المعجم الوسيط، بدعه: بدعا: أنشأه على غير مثال سابق، فهو بديع. والبديع الشيء الذي يكون الأول.

واصطلاحا: نوع من المديح النبوي. كل بيت من القصيدة تضمن نوعا من البديع، فأصبحت مديحا ومتنا معا في علم البديع.

تعتبر قصيدة البديعيات شكلا من أشكال قصيدة المديح النبوي. ويقول فيها محمود علي مكي:**" فن متفرع من هذه الشجرة الوارفة، شجرة المدائح النبوية. وهو فن يوظف المديح النبوي لخدمة علم من علوم**

العربية، وهو علم البديع"[17]. أما زكي مبارك، فيعرفها على أنها **:" قصيدة في مدح الرسول، ولكن كل بيت من أبياتها يشير إلى فن من فنون البديع"**[18]. و يؤكد جودت الركابي أن البديعيات هي قصائد من البحر البسيط في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم تحتوي كل فنون البديع، وعرفت بالبديعيات[19].

ويقول منير سلطان:" البديعية قصيدة تحتوي على كل الفنون التي أدرجت تحت علم البديع، وهي في الوقت ذاته في المديح، وبخاصة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم"[20]. ويؤكد مصطفى الصاوي الجويني، أن :" البديعية قصيدة مديح غالبا ما تكون في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وغالبا ما تكون على البحر البسيط ومن قافية المتراكب وروي الميم المكسورة، ويقوم كل بيت منها شاهدا على الفن البديعي في لفظ البيت الذي يتضمن معناه"[21].

ويقول عبد الواحد حسن الشيخ، بأنها:" قصائد من البحر البسيط، ميمية القافية، غالبا تعارض أصلا بردة البوصيري التي أنشأها في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم"[22].

والبديعية كما يؤكد لخضر عيكوس :" لا بد أن تشتمل ثلاثة أقسام رئيسية. يتمحور الأول حول ذكر الأماكن المقدسة والديار العامرة بأطياف الأحبة الذين سافروا وتركوا الشاعر يشكو ألم الفراق، ولوعة

---

[17] - محمود علي مكي، المدائح النبوية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، ط1، 1991، ص: 136

[18] - زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، ص: 169

[19] - د. الركابي،(جودت)، الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط2، 1982، ص: 132

[20] - د. سلطان، (منير)، البديع تأصيل وتجديد، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، (د.ط)، 1986، ص: 22

[21] - د. الصاوي الجويني ، (مصطفى)، البديع في علم البديع ليحيى بن معطي، تحقيق ودراسة، د. محمد مصطفى أبو شارب، دار الوفاء ، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص: 40

[22] - د. حسن الشيخ، (عبد الواحد)، دراسات في علم البديع، (د.ط)، ص: 10

الصد والهجران، في القسم الثاني يمدح الشاعر الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم، فيصور سيرته العطرة المنطوية على عظيم معجزاته ونوادر كراماته. كما يمجد انتصاراته ويعرج على ذكر آله وصحبه، وشمائلهم. كل ذلك بأسلوب من الصنعة البديعية. أما القسم الثالث فعادة ما يكون دعاء تؤمل شفاعته يوم لا ينفع مال ولا بنون"[23].

ـ النسيب في البديعيات (المقدمة الطللية):

إن الشعر كان منذ القديم متنفسا للشعراء. يعبرون من خلاله عن مشاعرهم، وميولاتهم وكذا اتجاهاتهم. و (الغزل فرع من دوحة الشعر الوارفة، ما زال يملأ النفوس المرهفة منذ غابر الأزمان، ويفعمها بأحاسيس عارمة من الحب والوجد، والبهجة، واللوعة والوصال والهجر.[24]

* المقدمة الطللية: اهتم شعراء البديعيات بالمقدمة الغزلية اهتماما كبيرا. وهو تقليد معروف منذ العصر الجاهلي. غير أننا نجد في هذه القصيدة مقدمة طللية نسيبية، عبرت عنها أنواع بديعية شتى، إذ الربط نسيب ونوع بديعي أمر يحتاج براعة ومقدرة فنية. فهو نظم شعري يجمع بين النص الإبداعي الشعري وعلوم البلاغة مع غرض شعري ذي معنى عميق: مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

إن أصحاب البديعيات ربطوا موضوعهم بإطار ترسخ وتجذر في الشعر العربي، وهو الوقوف على الأطلال. باكين مستبكين. مما يجعلنا نتوقف لمعرفة هذا البكاء ودلالته- بكاء الديار- إنها تشذ وتختلف عن باقي الديار المتعارف عليها في الشعر العربي القديم. فهي مقدسة لصلتها بأعظم الخلق (قسلع- سلم- علم..*)، وهي أماكن بجوار قبر

[23] ـ د. لخضر عيكوس، ظاهرة البديع في الشعر العربي(دراسة في المصطلح والوظيفة)، رسالة درجة دكتوراه الدولة، دامعة قسنطينة، 1995، ص:17

[24] ـ د. خليل، (عماد الدين)، مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص: 211

الرسول صلى الله عليه وسلم. وهنا يكمن التميز والتفرد، إذ إننا نجد هذا النمط من البدايات لكنها تتحدث عن ديار الحبيبة. فقد كانت بمثابة المنطلق لولوج عالم القصيدة منذ العصر الجاهلي. وعن هذا يقول ابن رشيق القيرواني في كتابه (العمدة)، في باب (عمل الشعر وشحذ القريحة):" سئل ذو الرمة:- كيف تفعل إذا انغلق دونك الشعر؟. فقال: كيف ينقفل دوني وعندي مفاتيحه؟. قيل له وعنه سألناك ما هو؟. قال: الخلوة بذكر الأحباب، فهذا لأنه عاشق ولعمري إنه إذا انفتح للشاعر نسيب القصيدة فقد ولج الباب، ووضع رجله في الركاب.."[25].

وعندما نتمعن المقدمة الطللية نجد أنها بداية عن ألق شعري جذاب، يجمع بين سهولة اللفظ وعمق المعنى. يتوارد المعنى بعفوية إلى ذهن السامع لحسن سبكه، ووقع ألفاظه، وهو نسيج في نفس الوقت على منوال القصيدة العربية التي لا يبدأ مطلعها إلا بوقفة طللية، حيث إن الشاعر في العصر الجاهلي وقف وبكى واستبكى لفراق الأحبة ورحيلهم عن ديارهم. والمعادلة تبقى واحدة، مع اختلاف في مكانة المحبوب، وكذا الديار. فهي مقدسة لارتباطها بخير الخلق كلهم صلى الله عليه وسلم.

إن الشاعر يفتتح قصيدته بالغزل معبرا عن معاناته وآلامه. فهو يبكي الديار التي غدت أطلالا، وصورا تتراءى له في الذهن. يحاول بها استحضار الماضي الغائب، إذ العلاقة وجدانية وعميقة بهذه الأطلال. فالبكاء والشجن يجسد حبا وطيد الصلة بهذا الطلل الرمز.

هذا الوجد يأخذ الشاعر بعيدا إلى أجواء روحانية كانت وولت. فالحب هنا كمعادل للفقد الحضاري والإنساني لشخصية فذة، لم يخلق مثلها. إنه يذكر الأمكنة ويستحضرها روحيا. فنجد الحب والبديع مجتمعين.

---

[25] - ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر و آدابه ونقده، تحقيق، د. عبد الحميد هنداوي، ج 2، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ص: 185

* قسلع موضع يقرب المدينة، و ذو سلم بالحجاز، والعلم جبل شرقي الحجاز

فجمال المحبوب يوشحه جمال الشكل اللغوي، فتتراءى الصور جميلة ورائعة، تتيح للسامع استثارة أعماق الذات وتهيئ الشاعر للتطرق للغرض الذي يوده ويرومه. فمن خلال هذا الغزل الذي ابتدأ به مطلعه نبأ عن مدى ارتباطه بالغرض، وقدرته على إيصاله معانيه، ودرره إلى المتلقي/ السامع في أبسط صورة وأقل لفظ، وأعذب عبارة. وقد جسدته التوشية التي نجدها في بدايات كل بديعية، والمعبر عنها ببراعة المطلع، وحسن الابتداء، وهو :" عبارة عن سهولة اللفظ وصحة السبك ووضوح المعنى، ورقة التشبيب، وتجنب الحشو، وتناسب القسمين...

وما يلفت انتباهنا، هو هذا المزج بين الحب والألم والبديع. إذ تتسع الدلالات وتتجسد أكثر، وتبدو محاولة الشاعر جلية في المواءمة بين تجربته الأليمة والأطلال. فجاءت الدلائل والإشارات مرتبطة بالمكان والزمان.

لكن سلع والعلم مكانان يحن إليهما الشاعر ، لهما خصوصيتهما، يحن إلى ماض كانا فيه رمزا للكرامة والسمو والازدهار. ف(سلمى-وسعاد- وليلى..) أي الأنثى المتغزل بها ، هي الماضي ذاته. وقد غاب طيفه كما غابت (سلمى- سعاد- ليلى= الأنثى) الحبيبة والمعشوقة. إنها معادل موضوعي للماضي الذي ولى ، وتغيرت معالمه الجميلة. هذه الأماكن تحيط بالمدينة المنورة، فدل هذا الذكر على أن حبه ليس كحب سواه من الشعراء، وإنما هو حب متمثل بالرسول صلى الله عليه وسلم، وما هذه المواطن إلا أطر للمدينة المنورة تتشق من عبق الحبيب الكريم[26].. إنها نفحات هفت في نفس الشاعر، فأبدع بين مضمون فذ، وعلم شائق- علم البلاغة- وهنا تكمن فنية المطلع الغزلي وخصوصيته، من خلال العاطفة السامية، والجانب الروحي الذي هيمن على المضمون المادي واستوعبه. فلا نجد إلا نفحات روحية تنبئنا عن واقع آلم الشاعر،

[26] - د. بكري، (شيخ أمين)، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم البديع، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص: 13

فجاءت بديعيته متماهية إلى القداسة التي تشيع في استهلالها وفي تماسكها الدلالي.

إن المضمون عميق جدا . لهذا أنتج شكلا أدبيا مختلفا، وعبر عن تناقضات المجتمع وما حصل فيه من تغير رهيب. ثم إن الشاعر لم يتوقف عن البكاء، إذ يستمر في التعبير عن أسى روحي يذكره بأحبته.

* فراق الأحبة وارتحالهم: إن الفراق يجعل للمضمون عمقا أكبر، ويحيلنا إلى دلالات ذات لوحة فنية، وجمالية. إذ يرحل بنا الشاعر من الحاضر إلى الماضي " فيكون الشجن التاريخي أعمق وأكثر مدعاة إلى التألم والأسى على الماضي الحضاري، أو على ماضي الإنسان. وقد تخرج العبرة هادئة رصينة بعد تأمل هادئ رصين"[27].

وعندما نحاول معرفة هذا الحب والوجد بالمحبوب الغائب، نجد حبا عظيما يخلده التاريخ، وهو حب الرسول صلى الله عليه وسلم، وما يمثله من أحداث وانتصارات للأمة الإسلامية.

إن هذا الحب إيحاءات لما يعيشه الشاعر من صراع داخلي، وآلام نفسية، قواها التعجب والاستفهام والتمني. فالتعجب تقابله صورة الاستفهام، حيث يفرض التناقض نفسه. ويستمر هذا الجو النفسي المفعم بالحب والألم، والأمل إلى أن يصير حبا روحيا عميقا يتسامى ليصل الذروة، قمة الوجدان. إنه معادلة للحياة. فمهما كان الألم يكون الهروب إلى المحبوب الذي يصير هو الملاذ. فلا غرابة أن الأمر متعلق بمحبوب شفيع الامة ونبيها. فالمعادلة صعبة. إذ إن الطرف الأول الشاعر، الإنسان حاضر. أم الذي يجسد المثل، والقيم، والحب، غائب. لكنه يبقى حاضرا غائبا في ظل غياب الذاكرة الجماعية، والماضي الحضاري، الذي ناب عنه الحاضر بكل زخرفه وبديعيته، فهو:" يبرز في هذه المعاناة تناقضا بين الذات والخارج، ويؤازره تناقض آخر بين

[27] - د. عبد الواحد حجازي، (محمد)، الأطلال في الشعر العربي، (دراسة جمالية)، ص: 19

الماضي والحاضر، إلا أن التعبير لا يبرز التناقض بقدر ما يركز على التجانس"[28].

* لوعة الصد والهجران: إن الشاعر يعرض لمشاعر الحب، ومواءمة معانيه وتشكيل صوره، حيث تتناغم الألفاظ وتتناسق، وتتوالد المعاني. كما أن الاستطرادات تزيد النص الشعري إثارة:

وليس يجدي إذا ما الدهر باغتني * بحكمة قرع أسناني من الندم**

لكنني وجميل الظن همدني * لا وزر إن عثرت يوما على قدم**

* المدح في بديعيته: الفقرة الثانية التي اشتملت عليها بديعيته هي المدح. وهو ليس مدحا تكسبيا، ولكن كان لغاية نبيلة، وهي تمجيد أرف الخلق كلهم : محمد صلى الله عليه وسلم، والإشادة بصفاته وشمائله. وقد سلك المدح عنده مسلكا دينيا خالصا تمثل في شعر المديح النبوي، مقتديا بمن اقتدى بهم معظم شعراء هذا اللون الفني. ويرمي الشاعر من هذا المديح هدفا واحدا، وهو نيل الشفاعة يوم القيامة.

إن ذكر الشاعر لنسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورد في شكل عفوي رائع. إذ يومئ لعظمة الممدوح وجلاله. فهو يجسد بطريقة أو بأخرى موقف الشاعر الانفعالي، وعاطفته الجياشة المستمدة من حب ثابت قوي. فبدايته بذكر النسب في الأول لدلالة عظيمة، إضافة إلى النوع البديعي الوارد وهو الاطراد، والملاحظ أن هناك مزاوجة بين المضمون المعرفي والمضمون الشعري. يربطهما تماسك وجمالية التعبير، وعاطفة متفردة تبين قدر الممدوح وعلو مكانته. ويستمر في مدح خير البرية صلى الله عليه وسلم مستلهما من سيرته العطرة، ومن التراث الإسلامي والتراث الأدبي. وقد حرص الشاعر على تشكيل بديع، جمع فيه أحداثا تاريخية إسلامية، تنم عن قدرته وتمكنه من فنه،

[28] - د. سويدان، (سامي)، في النص الشعري العربي (مقاربات منهجية)، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط2، 1999، ص: 117

إذ تتوارد الصور والألفاظ الإسلامية متوائمة ومتلاحمة مع المضمون. ففي حديثه عن المعجزات إشارات عميقة إلى الروح القوية- البردة الصوفية- إلى حبيب الله، الذي ميزه بالكثير من المعجزات. فكان الكون ينسجم انسجاما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع انسجام آخر في القصيدة، وتناسق في الألفاظ والمعاني المختلفة الدلالات.

* الدعاء والتضرع والتصلية على الرسول الأعظم: تكون خاتمة البديعية او المدحة النبوية متضمنة الدعاء والتضرع لله تعالى، والصلاة على نبي الامة صلى الله عليه وسلم.

- الجانب البلاغي والجمالي في البديعية: إن القصيدة المدحية النبوية نص إبداعي له بنيته الخاصة، وجماليته وفنيته. ينسج الشاعر خيوطا دقيقة مرتبطة بالصناعة البلاغية التراثية. ومن هنا سنحاول قراءة نصوص إسماعيل زويريق قراءة جدولية.

* النظام البلاغي في بديعيته: إن بديعية إسماعيل زويريق تشمل على 304 بيت تتمازج فيها الألوان البلاغية في لوحة فنية موائمة بين المصطلحات والشعر.

3- المولديات:

المولد النبوي واتخاذه عيدا هو أعظم منة من الله عز وجل، لقوله تعالى:***" لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين"***[29]..

والمولديات هي المدائح التي تلقى ليلة المولد النبوي، وتحتوي على مدح الرسول صلى الله عليه وسلم من طرف الشعراء تحت رعاية سلاطينهم، وبمساهمة العامة والخاصة، وشعراء البلاد، وكذا أدباء

[29]- سورة آل عمران. الآية 164

الأمصار الأخرى الوافدين على السلطان، محتفلين بذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم[30].

وعيد المولد النبوي الشريف يتم الاحتفال به، ويتم فيه ركوب الشعر لمدح خير البرية صلى الله عليه وسلم. وتسمى هذه القصائد بالمولديات، أو قصائد عيد المولد النبوي. وتسميها الدكتورة حكيمة بوشلالق الباحثة الجزائرية بالعيديات، ولكن الأنسب والأكثر دلالة هو الاسم المتفق عليه (المولديات). ومن ثمة نقول بان المولديات هي قصائد شعرية تنشد في عيد المولد النبوي.

ويرى عبد الحميد حاجيات أن موضوعها يكون في "مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وذكر معجزاته، وفضائله، والإشادة بفضل ليلة المولد الشريف. ويتلو ذلك غالبا مدح السلطان، وذكر مزاياه ونبله، وكرمه، وعدله، وغير ذلك من فضائله مما يدخل في باب مدح رجال السلطة. وتنتهي المولديات بالدعاء للسلطان، وطلب المغفرة والرغاية من الخالق تعالى"[31].كما تنتهي في كثير من الأحيان بأبيات الحكمة او التصلية على النبي صلى الله عليه وسلم.

فهل خصص إسماعيل زويريق في (على النهج) بعض قصائده لعيد المولد النبوي؟ وكيف جاء بناؤها؟

عندما نعود إلى (على النهج) في جزئه الخامس، نجد إسماعيل زويريق شاعر النخيل في الصفحة 339 من (على النهج) يثبت قصيدة تحت عنوان (ذكرى المولد الشريف)، عارض بها قصيدة أحمد شوقي التي قال في ذكرى المولد النبوي الشريف عام 1320هـ، والتي مطلعها :

---

30 - زواقة، (ياسمينة)، صورة النبي صلى الله عليه وسلم في المديح النبوي، بردة البوصيري أنموذجا، ماستر ، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر، 2015، ص: 55

31 - حاجيات، (عبد الحميد)، أبو حمو موسى الزياني وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1982، ص ص : 220- 221

به هجر يتيمه * كلا جفنيك يعلمه**

هما كادا لمهجته * ومنك الكيد معظمه**

وهي قصيدة طويلة تتكون من 97 بيتا. وقد نُشر جزؤها المتعلق بالمديح النبوي بالجزء الثاني من الشوقيات المجهولة، التي أخرجها الدكتور محمد صبري سنة 1932. وقد أعجب بها الشاعر إسماعيل زويريق، فعارضها بهذه القصيدة التي عنونها ب(ذكرى المولد الشريف)، وتتكون من 109 بيت، وقد استهلها بقوله:

أيشجي النفس مقدمه * ووجدك فات موسمه**

وقلبك لا يحركه * سوى من كان يظلمه**

وقد استهل قصيدته بالشكوى، وألم الفراق والبعاد وحر الهجر، والنوى، وإعلان حبه لمعشوقه محمد صلى الله عليه وسلم، وتشوقه لزيارة بين الله الحرام. وقد أعلن للسائلين والمتشككين أن حبه ليس لمعشوقة، وأن سهره ليس لمناجاة القمر والنجوم وبثهما شكواه، وإنما مدعاة سهره هو الشوق والحنين اللذان يذكيان قلبه و وجدانه:

أنا المهموم لا أحد * يجلي الهم يحسمه**

وهمي ليس في قمر * يريد النفس مقدمه**

وليس أراه في غسق * تسلي العين أنجمه**

وليس تميلني مقل * فعمري مر معظمه**

كما أنه يؤكد للسائلين أن صبابته وشوقه ليس لامرأة بعينها، لأن عمره وسنه لا يسمحان له بذلك.

نسيت الحب من زمن * وما أنساه أقزمه**

فما حب الغواني اليوم يا من ليس يفهمه

ولكن الحب الذي يحمله لا يشبه الحب الذي يعرفه العشاق. فحبه للنبي وللبيت المعمور، والمدينة المنورة، وقبر النبي صلى الله عليه وسلم.

كما يذكر بعض الوقائع التاريخية التي عرفتها الأماكن المقدسة، كواقعة أصحاب الفيل، والتي ذكرها الله تعالى في محكم تنزيله، في سورة الفيل، حيث قال تعالى:" ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم في تضليل، وأرسل عليهم طيرا أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول".

فيا من جاء محتقدا * لبيت الله يهدمه**

ألم تعلم بأن الله * يسحق من يذممه**

يؤوب الفيل من فزع * فأمر الله يحجمه**

يشد الجيش في هرب * وطير الله ترجمه**

ليعرج بعدها إلى ذكر عيد المولد النبي وفضائله على الأمة. مذكرا بالمعجزات التي حدثت يوم مولده صلى الله عليه وسلم، وكيف فرح به جده عبد المطلب، وإرضاعه من طرف حليمة السعدية، وما لاقت بإرضاعها له من خير...

بهذا العام مولده * سمات الفضل تقدمه**

لهيب النار تخمده * ومبنى القصر تهدمه**

بحيرة ساوة اندلست * وغاض الماء معظمه**

و هذا الجد من فرح * يقبله ويلثمه**

يطوف به ويدعو الله يحفظه ويعصمه

ويبين كيف تغير حال حليمة السعدية من عسر إلى يسر، وكيف فيَّض الله عليها الرزق ووسع لزوجها فيه...

لقد رجعت به والثدي منها بات يحجمه

وأصبح حافلا لبنا * يحفله تطعمه**

قضت مما ترى عجبا * وبعض الذر مطعمه**

وقد كانت إلى عهد * عناها ما تقدمه**

وأقبل زوجها مرحا * لأن الله أكرمه**

فهذي شاته احتفلت * ففاض وشجَّ مجزمه**

وبات الليل في شبع * يطمئنه توسمه**

ثم يذكر شق جبريل صدر النبي وتطهيره قلبه...

يشق الصدر جبريل * ينقي القلب زمزمه**

ثم ينتقل إلى مدح خير البرية وذكر صفاته، ومحامده وفضائله، وكيف أن الإسلام وحد العرب وآخى بين المسلمين، مختتما قصيدته بالتمني بالعودة إلى سالف الزمن، والتمسك بالعروة الوثقى.. والتمسك كذلك بالدين والكتاب والسنة.. والدعاء وطلب المغفرة وكسب الجزاء والنوال..

رسول الله عذرا إن * جرى بالطرف أسجمه**

فما هي سوى ألا * يفوت القلب زمزمه**

وان يلقاك مغتبطا * بما يهواه تكرمه**

4- الشوقيات (قصيدة التشوق):

تعد قصيدة الشوقيات(أو الأشواق) شكلا من الأشكال الفنية للمدائح النبوية. وفيه يعبر الشاعر عن تشوقه ولهفته لزيارة الأماكن المقدسة التي شهدت انبعاث النور المحمدي ومراحل الدعوة الإسلامية.

وهذا نجده عند إسماعيل زويريق في كثير من قصائده في المديح النبوي- كما في قصيدته (تشوق) بالجزء الخامس من (على النهج) حيث يقول:

النفس شاءت والزمان يغار * يلتج دونك جيشه الجرار**

ما كان تحبسني إليك موانع * لكن بما تجري به الأقدار**

أجد الطريق إليك غير معبد * تنشق عن أغواره أغوار**

في داخلي شوق يحمد في السرى * ويحثني للمبتغى الإيثار**

كما نجد فيها ذكر أسماء أماكن بعينها مثل(طيبة (المدينة المنورة)، ومنى، وزمزم، وعرفات، وما إلى ذلك، مما يعطي للقصيدة بعدها الديني والتاريخي، وبعدها التأثري والروحاني...

فإذا البسيطة تحت أجنحتي مدى * متقبض فكأنه أشبار**

هذي المدينة ألبستها حلة * من حرما تزهو به الأنوار**

ما أن تبدي وجهها حتى تملك مهجتي فرح وقر قرار

والقبة الخضراء بين قبابها * تبدو يجلل رسمها الإكبار**

وإذا بنفسي تغتر بها هزة * يأتي صداها:" ها هنا المختار"**

وقوله أيضا في قصيدته (طيبة المنورة):

هذه طيبة المنورة الأر * هاء. هذي المدينة الزهراء**

هذه طيبة السعيدة تبدو * من علو كأنها الجوزاء**

وكثيرا من الشوقيات يأتي فيها ذكر الرحلة إلى الحرم المكي والمسجد النبوي، مصورة الشوق والهيام لزيارة هذه الأماكن المقدسة الإسلامية، مع طلب التوبة والمغفرة، كما في قوله من قصيدته (طيبة المنورة):

ساقتني طائرا إلى أرضها شو* ق وحب ورفقة أصفياء**

وقوله أيضا في قصيدة (في رحاب مكة):

و مشى مركب الهدى بي إلى مكة والصبح ماله إسناء

مركب بعده المراكب أرتا * لا تبدت أتيها الإبلاء**

تتناصى كأنها مرسلات * لائقا يثنيها ولا صلداء**

فإذا الأرض قد تطوت وصارت * حين تمشي كأنها كنعاء**

أيها السائق اتكل وتقلع * آن في ذي الحليفة الإفضاء**

خل في سيرها السيارة تسرع * ما لنا في غير الوصول رجاء**

دعك من كل ناقة أجد لن * تقطع النجد ناقة أدماء**

كما أن في ختام الشوقيات تنتهي بالسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما في قوله:

مولاي صل على المختار سيد أهل هذه الأرض من عرب ومن عجم

عليه صل وسلم دائما أبدا * مؤبدا وعلى أصحابه العظم**

و آل أصحابه والتابعين لهم * وتابعي التابعين الغر كلهم**

أو تنتهي بطلب المغفرة والدعاء ، كما في قوله:

واغفر لنا ولهم واغفر لمن سبقو * نا من عبادك أولي العزم والكرم

أو طلب الأجر والثواب وحسن الختام، كما في قوله:

أرجو بمديحي المآل حميدا وحسن الختام على المنهج

أو ينهيها أحيانا بالتمني والرجاء، كما في قوله:

حبذا لو أصبحت دار قراري * وتلمى بي من ثراك فناء**

لأعيش الحياة فيك سعيدا * ليس يلهي الروح عنك بلاء**

أو ينهيها بإلقاء التحية والسلام، كما في قوله:

يا أبا حفص ليس تخفى على النا * س أياديك الصالحات الجلاء**

لكم مني ألف ألف سلام * يحمل الحب نشره السخاء**

أو نجده في ختام قصيدته الشوقية ينهيها بالنصيحة، والتوجيه وتقديم الإرشاد، كما في قوله:

لا تخف يا حمام فالقط هنيئا * لك في تربة الرسول تلاء**

في حمى هذه المدينة لا تخشى رصاصا ولا يخيفك داء

أو ينهيها بالأمر والطلب ، كما في قوله:

رددت ما التاريخ عنه تلمى * وأبانت ما أخفت النكباء**

فقفوا سلموا عليهم سلاما * يتوالى ما صبَّت السحماء**

أو ينهيها بحكمة أو مثال أو حديث نبوي شريف، كما في قوله:

هي إن غالك الجُواد شراب * هي إن شفك السقام شفاء**

لا يجوع البيت الذي فيه منها * ثمرة أو به يطوف داء**

أو قوله:

كل نفس عن الهدى إن تخلت * ما لها في هذي الحياة بقاء**

في عداد الموتى إذا هي عاشت * إنما نحن بالهدى أحياء**

5- الرباعيات:

الرباعيات فن من فنون الشعر التي استقلت في العصر الحديث. وقد أخطأ بعض الباحثين حين ربطوا بين الدوبيت والرباعيات، كما فعل حسين نصار، حين اعتبر الدوبيت رباعية، في حين أن الدوبيت فن فارسي نشأ في العصر العباسي، ومختلف عن الرباعيات.

فالدوبيت بيتان متتاليان من الشعر يكونان وحدة شعرية لما فيها من انسجام إيقاعي واتحاد في القافية. وقد تكون منهما فكرة مكتملة[32].

أما الرباعية، فهي مقطوعة شعرية من أربعة أسطر تدور حول موضوع معين، وتكون فكرة تامة. وهي لا تسير على وزن الدوبيت الفارسي، الذي هو: (فَعْلن متفاعلن فعولن فعْلن)، وإنما تتخذ من الأوزان العربية المعروفة وزنا لها.

والرباعيات ظهرت في العصر الحديث، وهي ترتبط من حيث نشأتها بعمر الخيام، ويطلق هذا اللفظ على مجموعة من المقطوعات الشعرية التي نظمها عمر الخيام[33]. وكان للترجمة دورها في ذيوع هذا الفن الذي يرجع الفضل في ذلك إلى الشاعر الإنجليزي فتز جيرالد الذي قام بترجمة رباعيات الخيام إلى الإنجليزية.

وقد ألف شاعر النخيل قصيدة في المديح النبوي تحت عنوان(رباعيات)، اعتمد فيها هذا النوع الأدبي.. وهذا يجعلنا نقر أن الرباعيات في وعي إسماعيل زويريق، هي: نص أو مجموعة نصوص يتولد بعضها عن الآخر، لأنها يوميات ومسايرات شعرية لشعور وقاد وفكر حي، وليست من قبيل القصائد التي هي مواقف ووقفات وموضوعات مستفيضة – كما يقول محمد الهادي الطرابلسي- [34].

---

[32] - الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1416هـ / 1996م، 10/ 423

[33] - جبور، (عبد النور)،المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1979، ص: 523

[34] - انظر: الفقي شاعرا، ص: 185

6- المخمسات أو المسمطات:

وهي قصائد مرتبة على حروف المعجم، والتي تتكون من قطع تتألف كل واحدة منها من خمسة أسطر. الأربعة الأولى ذات قافية واحدة، والخامسة بحرف روي مختلف. وقد يدخلها التصريع أو التقفية على الأسطر الأولى في المقطع الأول. فتكون الأشطر الخمسة كلها في قافية واحدة. ويعرف الشطر الخامس بعمود القصيدة، وهو الشطر الذي يتكرر من قبل الجالسين في الغالب في المديح النبوي[35]. والمخمس قد يشمل على عشرين دورا، وقد يقل عدد الأدوار حتى أحد عشر[36].

وعندما نعود إلى (على النهج)، نجد في جزئه الرابع، الصفحة 257، قصيدة (لحظات في مقام النجوى)، ص:259، شكلها على نمط المسمطات أو المخمسات. تتكون من 87 دورا، كل دور يتكون من خمسة أسطر أو خمسة أبيات، أي: مجموع أبياتها هو: 435 بيتا. وكل دور له قافيته ورويه. ولكن القصيدة كلها على وزن واحد هو مجزوء الرمل، الذي تفعيلته (متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن)، والتي جاء دورها الأول كالتالي:

دعك يا بنتي فقد آلمني منك البكاءْ

كلها الدنيا إذا فكرت يا بنتي شقاء

إن قضى الله بأمر قابليه بالرضاء

حكِّمي عقلك لا حيلة فيما قد يشاء

---

[35] - قوراري، (السعيد)، المدائح النبوية في الشعر الأندلسي في القرن الثامن الهجري، مضامينها وأشكالها الفنية، لسان الدين الخطيب ابن جابر أنموذجا، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2016، ص: 584

[36] - ضيف، (شوقي)، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الاندلسي، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص: 374

إن يخب ظنك في الدنيا فما خاب الرجاء

والمخمسة طويلة وهي موجهة على بنته كوثر، يوجه فيها نصائحه كأب إليها، وينبهها على أنها إذا ما كانت في ضيقة أو شدة فلتلتجئ إلى الله مفرج الكروب، مبينا لها تجربته في الحياة، وتأملاته للكون والوجود، خاتما إياها بتمجيده لله تعالى، وشكره على صنيعه.

7- المزدوج او الأرجوزة:

المزدوج هو لون من الشعر ظهر في العصر العباسي. وقد نظموا فيه أشعارا على الرغم من ان الادباء القدماء اتفقوا على حرمان المزدوجة من شرف التسمية بالقصيدة[37]. وهو يتكون من بيت واحد مشطور، و" يراعي الناظم في المزدوج أن تكون الأبيات مصرعة، فقافية الشطر الأول هي نفس قافية الشطر الثاني"[38]. مع اختلاف قافية كل بيت عن البيت الذي يسبقه أو يليه[39]. وهذه الحرية في القافية هي التي جعلت الشعراء العرب ينظمون في المزدوج ألوانا من القصص والحكم والأمثال، ومسائل العلم ونظم الكتب. وقد ربط شوقي ضيف بين ازدهار المزدوج وظهور الشعر التعليمي. ويسمى أيضا بالأرجوزة.

- الأرجوزة:

لغة: الرجز داء يصيب الإبل في أعجازها. والرجز : ارتعاد يصيب البعير او الناقة في أفخاذها ومؤخرتها عند القيام. وقيل: الناقة الرجزاء: الضعيفة العجز. ومنه سمي الرجز من الشعر لتقارب أجزائه وقلة حروفه. قال ابن سيده:" والرجز شعر ابتداء أجزائه سيان، ثم وتد وهو وزن يسهل في السمع ويقع في النفس. والرجز بحر من بحور الشعر

---

[37] - ضيف، (شوقي)، تاريخ الادب العربي، العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 15، 1999، ص: 163

[38] - د. أنيس، (إبراهيم)، موسيقى الشعر، مكتبة الانجلو المصرية، ط2، 1953، ص: 300

[39] - د. نصار، (حسين)، القافية في العروض والأدب، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1421هـ / 2001م، ص: 162

معروف، ونوع من انواعه. يكون كل مصراع منه مفردا، وتسمى قصائده أراجيز واحدتها أرجوزة، وهي كهيئة السمع إلا أنه في وزن الشعرن ويسمى قائله راجزا.. قال أبو إسحاق: إنما يسمى رجزا لأنه تتوالى في أوله حركة وسكون، ثم حركة وسكون إلى ان تنتهي أجزاؤه. يشبه بالرجز في رجل الناقة ورعدتها، وهو ان تتحرك ثم تسكن ثم تتحرك ثم تسكن"[40]. وقيل سمي بذلك لاضطراب أجزائه وتقاربها...

واصطلاحا: هو بحر شعري يتضمن الضعف والبطء، والتصويت. ووزنه في الدائرة العروضية: (مستفعلن مستفعلن مستفعلن /// مستفعلن مستفعلن مستفعلن)

وعندما نعود إلى (على النهج)، نجد أن شاعر النخيل إسماعيل زويريق قد ضمنه مجموعة من المزدوجات (شعر مزدوج)، خاصة في جزئه الخامس، حيث نجد قسما عنونه ب (روضة النسرين في سيرة المبشرين رضي الله عنهم)، الصفحة: 375.

وأول مزدوجة بهذا القسم هي : (نفحات من سيرة المبشرين بالجنة)، ص: 377. وقد استغرقت هذه النفحات 16 صفحة : من الصفحة 377 إلى الصفحة 392. وقد تكونت من مجموعة من المزدوجات، بلغت 321 بيتا.

وهذه الأرجوزة من بحر الرجز، استهلها بالحمدلة والصلاة على أشرف المرسلين، مشيرا إلى قصائده المدحية في خير البرية صلى الله عليه وسلم، مع ذكر عددها حيث وصل في المديح النبوي 6000 بيت، راجيا من الله أن تكون هذه المدائح غفارة لذنوبه، معلنا بدأه الكتابة في سيرة العشرة المبشرين بالجنة. وقد خص كل واحد منهم بأرجوزة باسمه،

[40] - ابن منظور، لسان العرب، تحقيق، عبد الله علي الكبير، وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، مج 3، مادة، (ر ج ز)، ص: 1588

ليخلد اسمهم في شعره، ويجعلهم في ركاب رسول الله. ومن ثمة مديحه النبوي يشمل الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه..

الحمد لله العلي الاكرم * من علم الإنسان ما لم يعلم**

في الأرض قد جعله خليفة * مستمسكا بالشيم الشريفة**

صلاته على الذي للعالمين * بعثه بالحق والفضل المبين**

وآله وصحبه المطهرين * وتابع للتابعين الطيبين**

بعد الذي كتبته مقتديا * بنهج من قد سبقوا مستوفيا**

كتبته قصائدا في المدح * وكللت جميعا بالنجح**

ستة آلاف من الأبيات * الله يغفر بها زلاتي**

خصصتها لمن أتى مبشرا * لكل من فوق الثرى ومنذرا**

وهذه أرجوزتي المحبرة * كتبتها في السيرة المعطرة**

أوقفتها على الرفاق العشره * من الصحابة الكرام البرره**

من بشروا بأنعم الجنات * وعرفوا بأجمل الصفات**

وقد سار فيها على ما قرأه من منظومات، كتهذيب منظومة القواعد للفقهية لابن السعدي، والتي يقول فيها:

الحمد لله العلي الإرفق * وجامع الأشياء والمفترق**

ذي النعم الواسعة العزيزه * والحكم الباهرة الكثيره**

و كذلك أرجوزة الفزاري في علم النجوم، والتي تقول:

الحمد لله العلي الأعظم * ذي الفضل والمجد الكبير الاكرم**

و أرجوزة ابن الوادي الموجودة في طبقات المفسرين، والتي تقول:

الحمد لله العظيم الأول * يا ذا الجلال والعطاء الأجمل**

والأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية، لابن أبي العز الحنفي، والتي تقول:

الحمد لله القديم الباري * ثم صلاته على المختار**

وبعد هاك سيرة الرسول * منظومة موجزة الفصول**

وقد شكلت هذه الأراجيز في (على النهج) بأجزائه الخمسة نسبة 5.31%..

ربط المديح النبوي بفن الملاحم

بما ان شاعر النخيل إسماعيل زويريق قد هام بالمديح النبوي، وتأثر بالبديعيات والمولديات، والشوقيات والمدائح النبوية(البردة وما والاها من قصائد المديح النبوي)، قر في نفسه أن يكمل النظرة التي نظرت إلى قصيدة البردة للإمام البوصيري على أنها ضرب من الملاحم الشعرية التي افتقدها شعرنا العربي القديم. ولذا قر في نفسه أن يساهم ببردته إلى جانب بردة البوصيري في سد ذلك الفراغ، وإزالة هذا النقص، خاصة بعد اطلاعه على ما قاله الأستاذ المرحوم عبد الله كنون، موضحا العلاقة بين الملحمة والبردة:" هذا فن من الشعر يكاد أدب الفقهاء يمتاز به، فيدفع الوصمة عن الأدب العربي التي يلصقها به كثير من النقاد حين يتحدثون عن خلوه من الملحمة، ومن الشعر القصصي في الجملة"[41]. ويضيف عبد الله كنون قائلا:" وهل تقاس معلقة عمرو بن كلثوم مثلا بقصيدة البردة، وما اشتملت عليه من فنون القول، كالنسيب الذي يرقق الطباع، والحكمة المزكية للنفس، والإعلان عن

[41] - أبو الحسن، (محمد)، قصيدة البردة للبوصيري دراسة أدبية، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور، الباكستان، ع 24، السنة 2017، ص: 87

مولد صاحب الدعوة الإسلامية، وما صحبه من الآيات العظيمة، والعجائب الغريبة ما صح منها، وما يروى عن طريق الرؤى والتجليات، لأن للخيال الشعري أكثر مما هو للتحقيق العلمي. ثم ذكرت جهاده صلى الله عليه وسلم بعد النبوة لإعلاء كلمة الله، وما لاقاه من المشركين من مقاومة وعنت وأذى، وما أبداه المؤمنون به من استماتة في نصرته وتأييده حتى انتصر الحق، وعلت كلمة التوحيد على خرافات الجاهلية. وانطلق الأرد العربي إلى فتوحاته شرقا وغربا لتوطيد سيادة ذلك الدين على العالمين"[42].

وقصيدة (البردة: يا شاكي البان) لشاعرنا إسماعيل زويريق شملت كثيرا من الخصائص والعناصر الملحمية، لكنها لا تصل بالطبع إلى مستوى الملحمة الكاملة بمفهومها الفني الذي عهد عند الإغريق والرومان، و الفرس.

والملحمة في اللغة : الواقعة العظيمة، والحرب ذات القتل الشديد. وفي اليونانية تعني : القصة أو الشعر القصصي الذي يختص بوصف القتال. والملحمة تقريب لكلمة(Epos)، ويطلق على الشعر الملحمي le poème épique/ Epic poetery. [43].

أما في الاصطلاح، فهي " قصة شعرية موضوعها وقائع الأبطال الوطنيين العجيبة التي تبوئهم منزلة الخلود بين بني وطنهم. ويلعب الخيال فيها دورا كبيرا، إذ تحكى على شكل معجزات ما قام به هؤلاء الأبطال وما به سموا عن الناس. وعنصر القصة واضح في الملحمة. فالحوادث تتوالى متمشية مع التطورات النفسية التي يستلزمها تسلسل الأحداث. ولكل ملحمة أصل تاريخي صدرت عنه بعد أن حرفت تحريفا يتفق وجو الخيال في الملحمة. وهي محكية لشعب يخلط بين الحقيقة

[42] - المرجع نفسه، ص:87

[43] - لوشن، (هدى)، وقفة مع الأدب الملحمي، جامعة الشارقة، عمان، (د. ط)، 2003، ص: 11

والتاريخ مما يسيغ أن تحدث خوارق العادات، وأن يتراءى الإنس والجن والحب أو الآلهة، والأبطال فيها يمثلون جنسهم وعصرهم ومدينتهم"[44]. وتعمل على ربط الحاضر بالماضي وتعين على يقظة الوعي في الجماعات، وعلى تقوية إحساسها بالديمومة زمنيا ومكانيا[45].

والسؤال المطروح، هو: لماذا اعتبرها إسماعيل زويريق ملحمة؟ وهل تتوفر فيها بعض شروط الملحمة؟

اعتبر شاعر النخيل المديح النبوي ضربا من الملاحم الشعرية وذلك للخصائص التي يتوفر عليها:

* ذكر ووصف لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو البطل الذي غير حياة أمة بكاملها.

* ذكر لبطولاته صلى الله عليه وسلم وغزواته، وجهاده في إعلاء كلمة الحق ونشر الدعوة الإسلامية.

* تتضمن قصة وهي سيرة النبي صلى الله عليه وسلم منذ نشأته إلى مماته.

* أنها قصة شعرية موضوعها سيرة النبي الأعظم، ومعجزاته وفضائله، وجهاده في نشر الدعوة الإسلامية، وإعلاء كلمة الحق.

* تتضمن الخوارق والتي تتمثل في معجزاته صلى الله عليه وسلم، وكيف شق جبريل صدره ونقى قلبه من كل الدرائن وذكر للإسراء والمعراج..

* تتضمن حوادث متوالية تؤرخ لمراحل الدعوة الإسلامية وانتشارها.

---

[44] - غنيمي هلال، (محمد)، النقد الادبي الحديث، دار مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 1997، ص: 90

[45] - جبور، (عبد النور)، المعجم الادبي، دار العلم للملايين، ط1، 1979، ص: 264

* ارتباط الحوادث والوقائع بالتاريخ الإسلامي.

* فيها صور للأبطال المسلمين الذين جاهدوا بمالهم ، وانفسهم في سبيل الله، إعلاء لكلمة الحق كلمة الله.

* فيها ربط بين الحاضر والماضي. كما توقظ الحس الديني والإسلامي. وترفع من الروح المعنوية، وتشد إلى التراث الإسلامي والعربي، وتاريخ الامة.

* تتناول السيرة النبوية وما فيها من بطولات ووقائع.

* تضمنها لموضوعات متنوعة، كلها تعطي صورة بينة عن الدعوة الإسلامية ومراحلها، وكذلك تقدم صورة مشرقة لحياة النبي صلى الله عليه وسلم.

* فيها ذكر للقوى البشرية والمتمثلة في قدرة النبي صلى الله عليه وسلم في تغيير أمة والانتقال بها من الظلمات إلى النور ومن التفرقة إلى الوحدة.. كما فيها صورا عن تحمل المسلمين المشاق لإعلاء كلمة الله تعالى، رغم كل المضايقات التي لاقوها من طرف المشركين. كما فيها إشارة للقوة الإعجازية الخارقة والمتنوعة التي دعمت الرسول والمسلمين، والتي كانت أيضا في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم تصديقا لرسالته، وعونا له على البلاء وعنت قومه ،مثل:(انشقاق القمر- الغمامة- انطفاء نار المجوس عند ولادته صلى الله عليه وسلم- زلزلة إيوان كسرى- العنكبوت والحمامة البائضة بباب الغار لحظة هجرته من مكة-...).

* امتيازها بالاندفاع والتدفق في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وسرد سيرته العصماء.

- بناء قصيدة المديح النبوي عند إسماعيل زويريق:

لقد سن شعراء المديح النبوي منذ القديم منهجا عاما سارت في إطاره قصيدة المديح النبوي عبر العصور. فأصبح هذا المنهج أو هذه المعايير عنصرا رئيسا متكررا في كل قصيدة على اختلاف الشعراء والزمان. ولكل شاعر بصمته ولمسته الخاصة.

وعندما نقف إلى قصيدة المديح النبوي في (على النهج) لاسماعيل زويريق، نجد عناصر رئيسة ثابتة، متكررة في كل قصائده المدحية، وأخرى فرعية تظهر وتختفي في قصائد أخرى.

1- العناصر الرئيسة:

- المقطع الغزلي الاستهلالي.
- التخلص من الغزل إلى المديح النبوي.
- مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.
- الدعاء والتوسل تجاه الرسول وطلب شفاعته.
- وصف قصيدة المديح نفسها.
- المقطع الختامي وهو الصلاة على رسول الله وأله وصحبه.

وباتباعه هذه العناصر، نجد أن قصيدة المديح النبوي عنده تكون بنية ديناميكية، لها بداية غزلية واحيانا خمرية مشوقة، تجلب السامع، ونهاية يتلمس فيها اليمن والبركة، وبينهما أجزاء متصلة ، مترابطة، يتم الانتقال من جزء إلى آخر في سلاسة ويسر، مما يعطي للقصيدة وحدتها العضوية. وهذا يبين مدى استفادة زويريق من التراث الشعري والنقدي السابق.

وإلى جانب هذه العناصر، نجد إسماعيل زويريق قد أضاف عناصر أخرى، منها: التوسل وطلب الشفاعة، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم. كما فعل بعض شعراء المديح النبوي السابقين، لكي تكون القصيدة مكتملة.

ويلاحظ ان شاعر النخيل في مديحه النبوي قد ركز على الأماكن المقدسة، وهو ما لم يسبق إليه شاعر، وبذلك كانت الأولى من نوعها في المديح النبوي.

أ)- المقطع الغزلي أو الخمري: يشتمل هذا المقطع الاستهلالي على موضوعين هامين هما:

* غزل عفيف، عذري خال من أي شهوة حسية، يتحدث الشاعر زويريق فيه عن محبوبته، ومعشوقته الرمزية. ناعتا إياها باسم عربي() ويصف غرامه بها..

* المزج بين الغزل وذكر الأماكن الحجازية المقدسة، والتي يقصدها كل مسلم ويحبها. ولا يخفي الشاعر حبه وشوقه، وحنينه لهذه البقاع، وزيارتها.

وهذا الغزل نجده خال من المثيرات الحسية، لأنه يهيئ إلى الدخول في الجو الإيماني الروحاني الذي تدور القصيدة في مداره. واحيانا تتخلى القصيدة عن البداية الغزلية، مبتدئة بذكر بذكر أسماء لأماكن حجازية مقدسة، والتركيز على وصف مشاعر الشوق والحنين التي تملأ قلب ركب الحجيج.

وفي قصائد أخرى نجده يستهل مطلع قصيدته بالخمريات كما في همزيته القسم الأول(في رحاب المدينة المنورة)، ص: 43. والتي يقول فيها:

هاتها ما للنفس عنها غناء ** جابني الشوق حين عز الدواء

ظامئ للكاسات قلبي وكاسا تي لهذا القلب المهل ظماء**

اسقنيها فلا نهار نهار ** حين أهفو ولا المساء مساء

ـ التخلص من الغزل إلى المديح النبوي: يأتي التخلص من المقطع الغزلي إيذانا بالبدء في الموضوع الأساسي للقصيدة، وهو: المديح النبوي. ويكون غالبا في بيتين أو أكثر، تتحدث عن عذاب الوجد، وما يقاسيه المحب من ألم البعد والشوق، والفراق، ولا يكون الملجأ من هذا العذاب إلا بمدح خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم، والتوسل بجاهه. وأحيانا ، يكون التخلص بالإضراب عن الغزل، وترك دواعيه، وتجنب مثيراته، وتفضيل مدح الرسول صلى الله عليه وسلم. واحيانا يكون التخلص قسمة عادلة بين الغزل والمديح. كما يكون أحيانا أخرى التخلص من الغزل إلى المديح ببيت أو أكثر، يتضمن الإنشاء الذي يبث الأمل والرجاء. ويلجأ فيها إلى مقام الرسول الأعظم يتوسل بجاهه.

ـ المديح النبوي: هو الغرض الأسمى في القصيدة كلها. ويبدأ – غالبا- بذكر اسم الرسول صلى الله عليه وسلم، وتعديد أسمائه وصفاته، حتى ينحصر المدح في شخص النبي صلى الله عليه وسلم.

ويشمل المديح النبوي جوانب أخرى أساسية تتكرر في جميع قصائده المدحية، وهي:

- ذكر صفات الرسول صلى الله عليه وسلم الخلقية والخلقية.

- الحديث عن الأشياء العظيمة التي اختص بها الرسول دون غيره من الأنبياء.

- ذكر المعجزات المعنوية والحسية التي منَّ الله بها على رسوله الكريم.

- توضيح معاناته وجهاده في سبيل إعلاء كلمة الله، ونشر دعوته.

و إسماعيل زويريق أضاف موضوعات جديدة في مديحه النبوي، وذلك بالتركيز على وصف قصيدة المديح النبوي ذاتها.

ومن العناصر الفرعية:

- العدول عن المقدمة الغزلية أو الطللية.

- البدء بالشكوى والتضرع.

- تصوير محنة الأمة ونكبتها.

- التعبير عن المناسك والأماكن المقدسة بألفاظ الغزل من باب التراسل الدلالي بين الحقول اللغوية المختلفة، كقوله في الكعبة (عروس- ذات الخال...).

- مدح الصحابة الكرام، والإشادة بجهادهم في إعلاء دين الله وكلمته.

- التنديد بالمسيئين بصورهم لرسول الله.

- الختم بالشكوى والحكم والنصائح.

- اللغة الشعرية في مدائحه النبوية:

اللغة وسيلة الشاعر واداته في توصيل رسالته إلى المتلقي. وهي وسيلته كذلك في الخلق والإبداع.

وقد برع إسماعيل زويريق في اختيار ألفاظ قصائده، وصاغها في قالب جميل. فاعتنى بألفاظه واجاد اختياراته لها. كما تميزت ألفاظه بالتنوع، والغزارة، وسهولتها، ووضوحها وبساطتها. ولها ميزة فنية تجلت في تكرار لفظها والتي تلاءمت مع خطاب المديح النبوي.

1- الأسلوب والأداء التعبيري:

لقد اهتم شاعر النخيل إسماعيل زويريق باستخدام العبارات. وأسلوبه حافل بالظواهر البلاغية والتي شكلت نوعا من التناص في مديحه النبوي، ومنها:

أ)- الاقتباس والتلميح والتضمين: شكلت الاقتباسات والتضمينات نوعا من التناص الذي وشى به إسماعيل زويريق مدائحه النبوية. ومن هذه الاقتباسات التي نجدها في شعره:

أ- من قبس القرآن: الشاعر اسماعيل زويريق رجل تربية وتعليم وعلم. وقد انغمس بكل جوارحه في أجواء العلم والتعليم، وكان من المتمعنين في سور القرآن والدارسين لأحكامه ومعانيه. فنهل من معينه، وتشرب أحكامه وأنواره، وتخلق بآدابه وأفعاله واستمسك بأوامره ونواهيه.. وأصبح القرآن منهجا لسلوكه، وعرف "***أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب***"[46]..وأنه"***كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير***"[47].لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

هكذا وقفت نفسه على حقائق كثيرة، قوت إيمانه، وعززت إسلامه، ورسخت النور في قلبه .فتجلى في أفعاله وسلوكاته، فكان الشعر انعكاسا لدواخله، والنور المتدفق في روحه.. فكان صادقا في إحساساته، معبرا بصدق عن إيمانه القوي وحبه الشديد للإسلام ولرسول الله صلى الله عليه وسلم.

من هنا جاء مديحه النبوي متضمنا اقتباسات من القرآن الكريم .. ولذا نسمعه يقول في قصيدته(جمع القرآن الكريم):

ليس تبلي يد الزمان كتابا * حفظته العناية السمحاء

---

[46]- الإمام علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، دار الأندلس، بيروت، ط2، ص:313

[47]- سورة هود- 1-2

هو من معجزات أحمد في الحفظ سيبقى ما كانت الأسماء

حفظ الله ما حوت لخفة بيضاء أيا أو سعفة سوداء

حفظ الله ما حوى كل صدر * ضمَّه من بطن الثرى أنحاء

وهذه الأبيات تحيلنا إلى قول الله تعالى: " **إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون"**[48].

وعندما نعود إلى (على النهج) نجد في مدائحه النبوية مجموعة من الاقتباسات القرأنية التي شكلت قبسات نورانية زينت مديحه النبوي.. وكأمثلة على ذلك نختار بعضها..

يقول في إحدى قصائده المدحية:

طير أبابيل قد جاءت محملة * **تردي على عجل من بالسلام رمي**

عندما نتمعن هذا البيت الشعري جيدا نجد فيه اقتباسا قرآنية إذ يحيلنا إلى السورة الكريمة (الفيل)، والتي يقول الله فيها**:" ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم في تضليل، وأرسل عليهم طيرا أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول"**.

محمد خاتم الرسل الذي شهدت * **له البرية بالمستحدث العمم**

هذا البيت الشعري يذكرنا بقوله تعالى من سورة الأحزاب، الآية 40:" ما كان محمد أبا أحد من رجالكم، ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما". وقوله تعالى كذلك من سورة (آل عمران) الآية 144:" وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل".

أرسلته رحمة للعالمين ونو * **را يهتدي بسناه كل منتظم**

[48] - الحجر- الآية 9

هذا يتناص مع قول الله تعالى في سورة الأنبياء في آيتها 107:" وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين".

انذر عشيرتك الأقراب منتدبا * فالأمر لله لا للنصب والصنم**

أعرض عن الكافرين المشركين فما * للكافرين عقول إن وعت تجم

في هذين البيتين الشعريين نجد اقتباسين من سورتين كريمتين.. البيت الأول نجد فيه ملمحا قرآنيا مقتبسا من سورة الشعراء في آيتها 214، حيث يقول تعالى:" وأنذر عشيرتك الأقربين". والاقتباس الثاني من سورة الحجر الآية94، حيث نقرأ قول الله تعالى:" **فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين".**

سبحان من رسول الله منطلقا ** فوق البراق مضى والليل ذو غسم

أسرى إلى المسجد الأقصى به فأرا * ه بعض آياته الكبرى على كثم

في هذين البيتين تذكير بقصة الإسراء والمعراج.. كما يذكرنا هذا الاقتباس بسورة الإسراء في آيته الاولى حيث يقول تعالى:" **سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير".**

إذ قاب قوسين أو أدنى بسدرته * يرى الذي لا يراه الناس في الحلم

في هذا البيت الشعري نجد اقتباسا قرآنية يحيلنا إلى سورة النجم في آيتها 9، حيث نقرأ قول الله تعالى:" **فكان قاب قوسين أو أدنى**". ونجد في هذا البيت اقتباسا قرآنيا آخر، يذكرنا بسورة النجم كذلك في آياتها من 13 إلى 18، حيث يقول تعالى:" **ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى. عندها جنة المأوى. إذ يغشى السدرة ما يغشى. ما زاغ البصر وما طغى. لقد رأى من آيات ربه الكبرى".**

قد علمت بأن مع العسر يسرا * فما طال عسر على مرتج**

هذا يذكرنا بقول الله تعالى في سورة الشرح، الآية 5:" **فإن مع العسر يسرا، إن مع العسر يسرا**".

يا نفس إلى الله راضية * ارجعي ومن الظلمات اخرجي**

في هذا البيت الشعري اقتباس من القرآن، شكل تناصا قرآنيا.. يحيلنا إلى سورة الفجر من الآية 27 إلى 30، حيث نقرأ قول الله تعالى:" **يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي**"

كيف يخشى جهالها الله خشيا * إنما يخشى الخالق العلماء**

وفي هذا البيت الشعري نتذكر قول الله تعالى في سورة فاطر ، الآية 28 :" **إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ**".

هذا غيض من فيض.. والاقتباسات القرآنية كثيرة ما دام في رحاب النبوة ومديح أشرف الخلق كلهم.. لذا جاءت هذه الاقتباسات نفحات وشت مديحه وزينت قصائده، وأعطتها نفحة إيمانية ،قوية.

ب- القبس الثقافي(البلاغة المحمدية):

لقد وجد في القرآن والسنة المنار الهادي. كما رأى في الأحاديث النبوية الشريفة والأمثال في القرآن مقاصد تربوية تهدف إلى الخلق الكريم، وتدعو إلى استعمال العقل والفكر، مثبتة بجلاء كبير أن منبع العلم والثقافة هو الله تعالى.

ومن هنا نجد أن الشاعر اسماعيل زويريق كان دائما يتمثل قول الله تعالى:" ***فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا، كأنما يصعد في السماء*** "[49].

[49]- الأنعام - 125

ويتمثل كذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم :"***لا دين لمن لا عقل له***"، وقوله صلى الله عليه وسلم أيضا:"***أفضل الناس أعقل الناس***".. وهكذا نجد أن هذه الثقافة الإسلامية بكل مشاربها وتنوعاتها كانت تقربه من الله وتزيد من حبه لرسول الله، وتقوي إيمانه..

وعندما نقف إلى (على النهج) نجد بها كذلك اقتباسات من النور المحمدي، حيث اعتمد إسماعيل زويريق الأخذ من الاحاديث النبوية وتوشية مديحه النبوي بها.. وكمثال على ذلكن قوله:

لا يجوع البيت الذي فيه منها * ثمرة أو به يطوف داء**

هذا البيت الشعري نجد فيه اقتباسا جليا لحديث نبوي رواه الإمام مسلم في صحيحه، وهو:" **يا عائشة بيت لا ثمر فيه جياع أهله**".

ويقول إسماعيل زويريق:

وصلة فيها ألف صلاة * والورى فوق أرضها سعداء**

كيف لا والصلاة فيه بألف * و حلول النفوس فيه شفاء**

في هذين البيتين الشعريين نجد اقتباسا من الحديث النبوي الشريف الذي أخرجه البزار والبيهقي والذي قول:**" عن أبي الدرداء، قال عليه الصلاة والسلام:" فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره مائة ألف صلاة، وفي مسجدي ألف صلاة، وفي مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة"**.

يقول كذلك إسماعيل زويريق:

ويك نفسي شدي الرحال فقد جاءك من مسجد الرسول نداء

وهنا نجد اقتباسا من الحديث النبوي الشريف ، الذي يقول:" **لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**".

روضة من رياض جنة عدن * عبقت من أطيابها الأجواء**

إنها الروضة الشريفة يا صحب فقلبي وجد وثغري دعاء

هذان البيتان الشعريان يذكراننا بالحديث النبوي الشريف :" **ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة**" (رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما).

ج- الاقتباس من السيرة النبوية العطرة:

لا يخلو ديوان اسماعيل زويريق(على النهج) بأجزائه الخمسة من مديح في النبي صلى الله عليه وسلم.. ولا يخلو من سيرته العطرة.. وصدق رسالته وأخلاقه وصبره في نشر دعوته... فجاء الديوان يتوزع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم على الشكل التالي:

* مولده صلى الله عليه وسلم: حيث نجده يقول في قصيدته (نفحات من سيرته العطرة):

ولد المختار فالكون من النور نهارْ

قد جرت في ليلة المولد أحداث كبارْ

غاض ماء النبع وانهد من القصر جدار

خمدت في كورها من هيبة المولد نار

ويقول أيضا في قصيدة (مولد النور):

في هذه السنة قد ولد من * بنوره انجلى ظلام الغسق

ابن الذبيحين اللذين جبلا * من طينة تضم كل خُلق

خمدت النار التي يعبدها * كسرى وقوم من مجوس المشرق

وشرفات القصر من إيوانه * قد سقطت رغم البناء السمق

وغاض ماء ساوة كما تدا * عت جُدُر كذا رواه البيهقي

وبشرت آمنة الجد به * فشكر الله على ما قد لقي

واختار جده من الأسماء ما * ينم عن إحساسه المندفق

هذي حليمة التي ألهمها الله لكل عمل موفق

عادت به وهي التي كانت ترى * ما ليس يدعو فيه للتعلق

* نشأته صلى الله عليه وسلم : لقد نشأ الرسول الكريم يتيما تحت كنف جده عبد المطلب .وقد تكلفت برضاعته حليمة السعدية التي وجدت في إرضاعه الخير الكثير..

يا سعد مرضعة عادت بأحمد في * أحضانها يرتوي من ثديها الرذم

قد أرضعته وما كانت لترضعه * إذ كيف ترضع مسحا على قهم

أتت به من بني سعد على ضعف * جواذبا ما رعت إلا على وشم

عادت بأفضل طفل غير مدركة* أن الوليد له فضل على الأمم

فكيف تجذب أرض فوقها درجت * رجلا صبي سليل النصَّح القُدُم

* زواجه من خديجة رضي الله عنها: اتصف الرسول الكريم بالأمانة والصدق حتى لقب بالأمين. وقد برهن على أنه الأمين على الأمانة، الحافظ لتجارة من ائتمنه عليها.. ولما رأت فيه السيدة خديجة هذه الخصال اتخذته زوجا ...

رأت خديجة فيه خير مؤتمن * على تجارتها فاحتاص لم يجم

أدى المنوط به عذب الشمائل في * حزم وعاد بمال وافر ضَخَم

ما كان أن يصطفي إلا مكرمة * زوجا له من أهالي مكة الحرم

* الفصل في نزاع قريش حول الحجر الأسود:

لولا حصافته في الرأي لا تقدت * بين القبائل نار الحرب كالضرم

* اعتكافه صلى الله عليه وسلم بغار حراء: كان صلى الله عليه وسلم يقضي أوقاتا بغار حراء، يتأمل هناك السماء ويختلي بنفسه إلى أن جاءه جبريل بالرسالة...

رأى الضلالة بين القوم فاشية * فاختار غار حراء في ذرى علم

هناك يقضي من الأوقات طائفة * في فهم كل خفي اللب منبهم

يرى الكواكب تجري غير واقفة * تجري بشكل دقيق الصنع منتظم

وجاء الوحي جبريل وقد بلغ الأشد من عمره في الأشهر الحرم

ناداه :اقرأ ،ثلاث، فاختفى فزعا * من هول م قد وعاه غير منعجم

* الجهر بالدعوة:

أنذر عشيرتك الأقراب منتدبا * فالأمر لله لا للنصب والصنم

أعرض عن الكافرين المشركين فما * للكافرين عقول إن وعت تجم

* تحاوره صلى الله عليه وسلم مع مشركي قريش: الشاعر اسماعيل زويريق يصور في شعره مراحل نشر الدعوة، حيث صور النقاش الذي دار بين كبار قريش والرسول صلى الله عليه وسلم. فقد ساوموه في الدين حين عرضوا عليه المال والملك مقابل التخلي عن هذا الدين، لكنه صلى الله عليه وسلم بين لهم أنهم لو وضعوا الشمس في يمينه والقمر في يساره ما تخلى عن هذا الدين...

جاءوا وما نفعت في أمرهم حيل * يخيرون بني الله في شمم

إن كنت تطلب ملكا أنت مالكنا * فمرْ تجدْنا إلى ما شئت كالخدم

أو كنت ترجو غنى أموالنا بدل * منها اقتطع ما تريد اليوم واختدم

لكنه ما رأى في المال محسمة * ولا رأى في جلال الملك أي حمي

هو الأمين هو المختار ليس له * كفء يجاريه في زهد وفي قيم

فاختار ما أمر الله الحكيم به * دين الحنيفة لم يرضخ ولم يرم

والله لو وضعوا في يسرتي قمرا * وفي يميني قرص الشمس لم أرم

*الإسراء والمعراج: لم ينس الشاعر اسماعيل زويريق حادثة الإسراء والمعراج. بل خصها بالذكر في بعض قصائده.. فنجده يقول:

سبحان من برسول الله منطلقا * فوق البراق مضى والليل ذو غسم

أسرى إلى المسجد الأقصى به فأراه بعض آياته الكبرى على عثم

الليل بنشر بين الخافقين جنا * حه ويلقي على القطبين بالسحم

إذا بصوت رهيب شق مسمعه * يا أيها المستلذ النومَ نُضْ وقم

هذا رَكوبك فاركب خير مرتكب * يرمي الشواسع في رجْع من الهَزَمِ

أسرى فإذا الأبواب قد فتحت * والأرض قد طويت والجو كالختم

لقد تلاشت حدود الكون فانتظمت * كأنها كرة صغرى من الأدم

إذ قاب قوسين أو أدنى بسدرته * يرى الذي لا يراه الناس في الحلم

* هجرته صلى الله عليه وسلم: نجد اسماعيل زويريق يصور هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر تصويرا لا يخلو من شاعرية...وصدق وإيمان...فيصور كيفية خروجه من بين المشركين دون أن يعوا بذلك.. واختباؤهما بغار ثور، واستقبال المدينة له بالنشيد الأثير(طلع البدر علينا)..

هذي قريش ترى ما قاله بُهُتا * فازداد أنذالها ورْما على ورم

ما كان للشر أن تحتمَّ شوكته * والشر بالشر إن تجذمْه ينجذم

لكنه ما رأى في الشر محمدة * ولا رأى نصرة الإسلام في الفخم

فاختار يثرب،يا سعد المدينة إذ * تلقاه بالشعر في جمع من الحرم

يا ليلة الهجرة الغراء مطلعها * هذا النبي دليل القوم عنه عم

تعمى البصائر والأبصار إن حسمت * إرادة الله أمرا غير منسجم

هذي الحمامة قد باضت فيا عجبا * كأنها طائر قد باض في رتم

ما راعها وافد قد جد يطلبه * ولا تنازعها خوف من الشيم

رأى الشجيرة قد أرخت سدائلها * والعنكبوت بما سدَّته لم ترم

هذا سراقة قد أعناه مركبه * كبا ثلاثا فلم ينهض ولم يقم

إلى المدينة يصبو القلب طائره * حليق شوق فلم يطرف ولم ينم

جاء اليقين فهذي يثرب وقفت * تشدو مرحبة بالوافد العمم

قامت لتنصر دين الله باذلة * أغلى الذي ملكت من عارض ودم

* معجزاته: لم تخل قصائده من ذكر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم.. التي ظهرت إبان ولادته أو أثناء شبابه وظهور دعوته...

ولد الحق فالوجود سناء * داشن الضوء ما له إطفاء

لاح في مفرق الزمان شعاعا * يحتوي الأرض نوره الألاء

من سناه ارتجت أواوين كسرى * واعترى نار المعبد الإخباء

والبحيرات ما لها قد تلاشت * حفها الجدب حين غار الماء

كما خص معجزة الإسراء والمعراج بالذكر حيث يقول:

ومن المسجد الحرام إلى الأقصى به كان ليلة إسراء

فإذا بالبراق يقطع جوا * شاهقا لا تجتازه مرخاء

قد سرى والدربَ الطويل له الليل حجاب له الظلام رداء

* معجزة النعجة العجفاء لأم معبد :فقد استضافت ام معبد الرسول وأبي بكر وهما في هجرتهما إلى يثرب.. وقد كانت لها نعجة عجفاء لا حليب في ضرعها... ولما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم أخضر المكان وامتلأ ضرع نعجتها فسقت الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبا بكر...وقد عبر على ذلك زويريق شعرا حيث قال:

كيف تقري الضيف الكريم وما في * بيتها إلا نعجة حطباء

قربي أم معبد شاتك الجدَّا * ء وإن غالها الطوى والعناء

قربيها فضرعها لبن بين يديه ودره ألباء

لبن الضرع فاستقوا عللا ثم * مضوا ،لا جوع ولا أصداء

* فتح مكة:

أكرمه الله بفتح جاوزت * سمعته كل مدى وافق

إذ دخل الجيش إلى مكة فيلقا مدججا وراء فيلق

وخضعت قريش بعدما رأت * أن النجاة في الخضوع المطلق

* وفاته صلى الله عليه وسلم: وقد خص الشاعر اسماعيل زويريق وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدة تحت عنوا (التحاق الرسول بالرفيق الأعلى)،والتي يقول فيها:

ما الذي باده المدينة حتى * أظلمت منها كلها الأرجاء

هالها فقد من أتاها سراجا * يوم أن عمت أرضها الظلماء

فاضت النفس واستقلت ذرى الأخيار إذ أنفذ القضا ما يشاء

أدمست من غيابه كل نفس * واكفهرت من فقده الأجواء

* أخلاقه صلى الله عليه وسلم: يقول ابن عبد ربه في كتابه (العقد الفريد) بأن الله نظم له مكارم الأخلاق في ثلاث كلمات فقال :" ***خذ العفو ،وآمر بالعرف، وأعرض عن الجاهلين***"[50].

ففي الأخذ بالعفو صلة الرحم، وصلة من قطعه، وصفح عن ظلمه وإساءته. وفي الأمر بالمعروف، تقوى الله، والغض عن المحارم، وصون اللسان، والصدق في الفعل والقول، وفي الإعراض عن الجاهلين، تنزيه النفس عن مجاراة السفيه ومسايرة الجاحد اللجوج.

ولذا كان صلى الله عليه وسلم يقول ***:" أوصاني ربي بتسع أوصيكم بها: أوصاني بالإخلاص في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وأن أعفو عمن ظلمني، وأعطي من حرمي، وأصل من قطعني، وأن يكون صمتي فكرا، ونطقي ذكرا، ونظري عبرا*** " ..

هذه أخلاق الرسول لقد جا * ءت بما لم يحلم به الحكماء

كل أخلاقه الكريمة قد كا * ن عليها الإطراء والإثناء

بعث المصطفى يتم من الأخلاق ما صان أمره الفضلاء

د- استحضار الأماكن المقدسة: الأماكن المقدسة هي مهبط الوحي، ومكان الدعوة، ومدفن جثمان رسول الله وصحبه. ومن هذه الأماكن المقدسة التي خصها اسماعيل زويريق بشعره في ديوانه (على النهج)،نجد(مكة المكرمة- الكعبة- المدينة المنورة- البقيع- الروضة الشريفة- جبل أحد- منى – عرفات- الصفا والمروة- مسجد الغمامة- مسجد قباء)..

[50]- الأعراف- 199...

يقول في الروضة الشريفة في قصيدته بنفس العنوان..

روضة من رياض جنة عدْن * عبقت من أصيابها الأجواء

إنها الروضة الشريفة يا صحب * فقلبي وجد وثغري دعاء

ها هنا تغفر الذنوب جميعا * كل ما قد يأتي به عصَّاء

ها هنا الماضي كله حسنات * وهنا الآتي كله سراء

ر-الاقتباس من وقائع المجتمع والمحيط: ينتمي الشاعر اسماعيل زويريق إلى مجتمع عربي إسلامي، أمازيغي، إفريقي.. له أصوله التاريخية والحضارية.. وقد نشا في بيئة مراكشية مغربية تنتمي إلى المجتمع العربي الواسع، والذي يعتبره الكثيرون " ***وحدة جغرافية مترابطة تسودها حضارة عظيمة موروثة ويربطها التاريخ المشترك برباط وثيق .فالأرض والتاريخ قد جمعت بين أبناء هذه الأمة المجيدة في وحدة تاريخية فكرية مصيرية***"[51]...ومن هذا المنطلق كان إحساس الشاعر، ونتاجاته الشعرية ذات طبيعة إسلامية.. مؤمنا بأن قوة المجتمع في أخلاقه وتدينه وحفاظه على موروثه الثقافي والديني والأخلاقي. ولذا كان مدح اسماعيل زويريق لرسول الله صلى الله عليه وسلم.. والإشادة بالإسلام والدفاع عنه، المنطلق لإعلان حبه للإسلام ولرسول الله صلى الله عليه وسلم.. ولا نتعجب عندما نجده يناجي رسول الله...

جئت والكون كله معجزات * وإذا الدهر كله إثناء

جئت والكون في دجاه غريق * فإذا الكون مشرق وضَّاء

أنت للخلق ملهم وسراج * أنت للناس عمة نعماء

أنت للغاوي منقذ وبشير * أنت للساري واحة خضراء

[51]- كفافي،(محمد)، وآخرون، المجتمع العربي، دار النهضة العربية، بيروت، 1961، المقدمة

أنت أنت الرسول مبعثك الحق * فأنت الشريعة السمحاء

أنت للعقل كوكب مستنير * أنت للنفس جنة ووقاء

أنت للكون مشعل ومنار * أنت للأرض هيدب ورواء

كما نجده يتألم لحال هذا المجتمع الكبير وما يسوده من شتات وتشتت وتفرقة، وحروب.. وما يحاك ضده من مؤامرات لقنبلته وتفتيته...

ماذا أصابك فانطويت على القذى * مغمومة منك النجوم الكاسفه

إن تدْبري فالدهر يشمت دائما * بمن اصطفى دبر الحياة النازفه

قومي فإن الدهر ينصف واقفا * لم يرحم الدهر الشعوب الخائفه

عودي فنور الحق يصدع بالمنى * ليست حياة المرء إلا هادفه

ويعرف إسماعيل زويريق أنه لإعطاء الصورة الحقيقية للمجتمع وحاله، لا بد من القيام بمقارنة بينه وبين المجتمع وحال الأمة إبان الدعوة الإسلامية.. يقول في حال الأمة اليوم:

فانظر إلى أمة الإسلام ما لقيت *أصابها الرعب وأخفى صوتها الرهب

أذلنا الصمت حتى عاد ديدننا * فلم يعد في الورى صوت لنا أرب

فلست أسمع إلا ما يؤرقني * فذاك مغتصب أو ذاك منتهب

اشتدت اليوم يا خير الورى شرفا * على الحنيفة من إخفاقها الكرب

من يدفع العار عن شعب يكابد من *عسف الزمان فلم يُسمع له طلب

قد ضاق صدري بما غال العروبة وانتابت فؤادي من أوصابها الريب

ويقول أيضا في حال الأمة العربية:

إليك أشكو رسول الله ما فعلت * بنا جبابرة لم تثنها خطب

هذي فلسطين قد كادت بصرختها * تصم أذاننا لكننا قِرب

هذي العراق وما أشقى روافده * طغى بها من ذئاب الشر مغتصب

ويقول في حال الأمة العربية(الجزيرة العربية) قبل البعثة:

هذي الجزيرة وكل ما بها * من ديدن لم ينتظم لمنطق

قد عم فيها الجهل حتى صار من * قضائه سكنها لم يطق

وعاشت الأمة في أكنافه * ولم تعش إلا حياة الفُسُق

فانتشرت فيها الفواحش بما * ينكره العقل وذو تعمق

ويقول في حال الأمة العربية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم:

حمل هما فوق ما قد حملت * شم الجبال من قرار سمق

من غزوة لغزوة من حملة * لحملة ترفع رأس البيرق

علمه لم يعرف النكس ولا * سقط في سلم ولا في مأزق

حليفه النصر إذا ما حمي الوطيس واشتد أوار الحنق

بل يقدم لنا الواقع الإسلامي كما يقدمه القرآن الكريم من خلال قصة أصحاب الفيل/وقريش ورحلتيها الشتوية والصيفية.. إلى غير ذلك من صور الواقع العربي القديم والحديث. وكانت هذه القصص مظاهر تعزيز الصورة التي يقدمها عن المجتمع وحال الأمة.

الحقول الدلالية في مديحه النبوي

الكلمات تخلق فيما بينها نوعا من العلاقة التي تسمى الحقول الدلالية. وشاعرنا إسماعيل زويريق يستعمل في شعر المديح النبوي كل ما يملكه من رصيد لغوي، ومفردات. وهذا في واقعه يشكل الحقول الدلالية التي تشكل ثروته اللغوية، وخطابه الشعري.

وفي ديوانه (على النهج)، بأجزائه الخمسة، نقف على طبيعة المعجم الموظف في هذا المديح النبوي، والمشكل لخطابه الشعري، والذي نوع دلالاته وشكل إزاحاته، ووسم بصمته الشعرية الخاصة. ومن الحقول الدلالية التي نجدها في شعره في المديح النبوي:

1- حقل الرحلة والأماكن المقدسة:

أ)- الرحلة: يمثل حقل الرحلة حقلا ثريا في قصائد إسماعيل زويريق، ويظهر في قوله:

من ذا يبلغني والخرق متسع ** وبين أطرافه بيد مجاهيل

إني أرى لذتي القصوى إذا انكفأت ** عني وطرَّح بي بعد وترحيل

جف الوريق وأضحت بي على سفر*ريح الخريف وغالت مركبي غول

يا راحلين إلى الزهراء وقرني ** هذا الفراق وهدَّتني بلابيل

هل يسعف القدر الميمون طائره ** أن أغتدي ونطاق السير محلول

ويقول في قصيدته (يا شاكي البان):

البعد يقصيك عني غير راحمة * والشوق يدنيك من قلبي ومن خيمي

الرزء أعظم به ما كالفراق على ** قلب امرئ لين في الطبع محتشم

ضاقت عليَّ رحاب الأرض واسعة * وطوقتني صروف البعد والهرم

وقوله أيضا:

ويك نفسي شدي الرحال فقد جاءك من مسجد الرسول النداء

وقوله أيضا:

قد دعاني إلى الرحيل نزاع ** ولقلبي عند الرحيل الثناء

فالشاعر إسماعيل زويريق، يستحضر في شعره الألفاظ الدالة على الرحلة والتنقل من مكان إقامته إلى المكان الذي يصبو إليه، والذي يتواجد فيه المحبوب، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد ارتبطت هذه الألفاظ بالمكان، أي أنها أعطت دلالة مكانية، وفي بعض المواقف أعطت دلالة الزمان، أي إنها دالة على وقت الرحلة..

- قد دعتني إلى الرحيل نزاع ← التفكير في العودة.
- ولقلبي عند الرحيل انثناء ← عدم الرغبة في العودة والرجوع.

التمني بالبقاء بنفس المكان.

- لي قلب في حب مالكه ← دوام محبة المكان وصاحب المكان (الرسول عليه سلام)
- لم أطق بعدا عنك بعد الذي شامت ← التعلق بالمكان ماضيا وحاضرا ومستقبلا.
- يا إلاهي قد زرت قبر النبي المصطفى ← زمان زيارة المدينة المنورة.

وكل هذه الدلالات كانت لها دلالة بلوغ الغاية، وبينت العواطف الجامحة والشوق الفياض للشاعر إسماعيل زويريق..

أي حب يفجر الشوق نورا ** يشرق الروح فيضه الألاء

والرحلة ليست عادية كما نعرف. ولكنها معنوية. وهي ارتحال تعويضي عبر فضاء القصيدة في الزمان والمكان من الواقع المتردي المليء بالمعاصي والمآثم، والذي يرفضه الشاعر اسماعسل زويريق. ولهذا اختار شاعر النخيل الرحلة الروحية ليعبر عن رغبته في التخلص من قيود المادة، للعيش في أمن وخلاص يطهران روحه، ويقربانها إلى الله سبحانه ورسوله الكريم.

ب- الأماكن المقدسة: المكان المقدس هو كل مكان أخذ قداسته عند جمهور المسلمين. وفي(على النهج) نجد الأماكن المقدسة قد تكررت 111 مرة، وجاءت على الشكل التالي:

- مكة المكرمة تكررت 45 مرة، تحت مسميات عدة: (المسجد الحرام- آحد- البيت- مكة- الميقات- أم القرى- بيت الله- البيت العتيق- البيت المحرم- مهبط الوحي- عرفات- الكعبة- مكة المكرمة).

- يثرب، تكررت خمس مرات، وتحت اسم : (المدينة- المدينة المنورة- مدينة المصطفى- طيبة المنورة- مدينة- الروضة الفيحاء- مهجر الرسول- المدينة الزهراء- الروضة الزهراء).. والزهراء تكررت 24 مرة.

ولم يورد إسماعيل زويريق هذه الأماكن اعتباطا، وإنما أوردها للتبرك والتيمن، وإعطائها سمة القداسة سواء مر منها، أو أقام بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو كانت قريبة منه، باعتبار أن القرب منها يعتبر في حد ذاته قداسة. وهذا يجعلنا نجزم أن الشاعر إسماعيل زويريق

انتهج طريقة المتصوفة في تقديسهم لهذه الأماكن، واتخاذها رموزا للمجاهدة الروحية، وبلوغ هذه المقاصد هو إشارة إلى مقام المجاهدة في الله.

وعند شاعر النخيل إسماعيل زويريق هي أماكن مقدسة يقصدها المسلم للتبرك، والتطهر من الذنوب والمعاصي، والتقرب من الله تعالى، وإزالة الوحش من رؤية هذه الأماكن التي شهدت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وانبثاق الدعوة الإسلامية.

2- حقل الحب والشوق والحنين: يعد الحب من أهم المواضيع التي يقوم عليها المديح النبوي. وقد استعمل إسماعيل زويريق مجموعة من الألفاظ التي عبلا بها عن الحنين والشوق والحب للرسول الله، وعشقه له، حرصا منه على إظهار لواعجه وشوقه لزيارة الأماكن المقدسة التي مر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحبه الشديد لرسول الله. والجدول التالي يعطينا صورة إحصائية لألفاظ الحب والشوق والحنين المستعملة في (على النهج)..

الجدول رقم: 1 الألفاظ الدالة على الحب وتكرارها

الألفاظ الدالة على الحب	عدد تكرارها	نسبة تكرارها
الحب والهوى	109	32.05%
الشوق	40	11.76%
القلب والفؤاد	175	51.47%
العشق والبوح	16	04.70%
المجموع	340	99.98%

واقترنت هذه الألفاظ أحيانا بألفاظ الألم والحزن، والحرقة والشكوى، والبكاء، والدموع، والنوى، والبين والبعد. ونجده يذكر المرض والسقم وبعد المسافة، التي تشكل عائقا يحول بينه وبين محبوبه الذي يعشقه وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم..

إني كظيظ فداء السكري على ** بابي وطعم لذيذ العيش مملول

الداء أنشب في جسمي مخالبه * والموت سهم عريض النصل معدول

جف الوريق وأضحت بي على سفر*ريح الخريف وغالت مركبي غول

قد أنهكتني صروف الدهر شائنة ** أما حسابي فما أبقت تحاليل

وحبه هذا له مرجعية دينية خالصة ، حيث يتمثل قول الله تعالى:" فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المومنين اعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، ذلك فضل الله يوتيه من يشاء، والله واسع عليم"[52].

3- حقل النور واليقين: تكررت في (على النهج) ألفاظ النور، وقد تكررت 326 مرة. وتنوعت دلالتها في مديحه النبوي، ما بين الصفة اللازمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث كان النور الذي أشرقه الله على البشرية جمعاء. وكان الحق واليقين الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم. وكان القرآن الذي نزل عليه، وسطع نوره في قلوب المومنين، وأشرق نوره في النفوس، وكان الحق والكرم الإلهي الذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور.

4- حقل الحقيقة المحمدية: يعنبر من أهم الحقول التي وردت في مدائح إسماعيل زويريق النبوية. والحقيقة المحمدية تعني أن الرسول صلى

[52] - سورة آل عمران، الآية 30

الله عليه وسلم موجود في الوجود قبل كل الموجودات، وتعتبر ولادته وحياته، ومعجزاته جزءا لا يتجزأ من هذه الحقيقة.

5- حقل أسماء الرسول الأعظم: وظف شاعر النخيل إسماعيل زويريق في مدائحه النبوية أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم وكنياته. وقد ورد في (على النهج) بعض أسمائه صلى الله عليه وألقابه وصفاته، كما في قول إسماعيل زويريق:

شوقي إلأيك رسول الله ليس له ** حد ولا لرجائي فيك تمثيل

ما أنت إلا سراج نوره قبس ** على هداه سرى الأقيال والثول

أرسلته يا إلهي رحمة وهدى ** للعالمين وهم قوم أبابيل

فنوره النور يجلي كل حاكية ** كأنه فوق مجلى القلب إكليل

وعندما نقوم بجرد لأسماء الرسول صلى الله عليه وسلم، والموظفة في قصائد المديح النبوي(على النهج)، نجدها على الشكل التالي:

* أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم والتي كان يكنى بها ، وينادى بها عليه، منها: (محمد- أحمد- المحمود- الهادي- المختار- المصطفى).

* كنياته صلى الله عليه وسلم، منها: (أبو القاسم- خاتم النبيئين- آخر الأنبياء والمرسلين- ابن الذبيحين- صاحب الحرمين).

* الأسماء الناتجة عن اوصافه الخلقية والخلقية، منها:(الأمين- الصادق- المصدوق- الحليم- البشير- النذير).

* الأسماء الناتجة عن رسالته ووظيفته كرسول الامة، منها: (الهادي- المجتبى- المسرى به- صاحب البراق- الرسول- رسول الله).

* الأسماء الناتجة عن معجزاته، وأفضليته في الكون، منها: (النور- البدر- السراج المنير- أفضل من نطق الضاد- خير الورى- خير البرية- نور الهدى- رسول الحق- رسول الهدى).

وعندما نقوم بجرد لأسماء الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، في (على النهج) نحصل على الجدول التالي:

الجدول رقم:2 جدول أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم

الأسماء	ج 1	ج 2	ج 3	ج4	ج5	مج
المصطفى	05	02	08	15	37	67
محمد	02	03	02	02	07	16
أحمد	01	00	01	02	01	05
المختار	03	02	00	02	12	19
الأمين	01	01	03	03	02	10
الحبيب/المحبوب	01	00	00	05	11	17
البشير/المبشر/الصادق/ الهاشمي/سيد الوجود/ خاتم المرسلين/ رحمة للعالمين	04	01	01	09	01	16
النذير/ الشفيع	02	01	00	02	01	06
المجتبى	02	01	00	01	04	08
الرسول/رسول الله/ النبي	19	17	25	55	50	166
النور/البدر/السناء/ نور الهدى/نور اليقين/ نور الله/ نور البدر/ نور الحق	10	02	03	06	01	22
الهدى/ الهادي	07	02	01	03	02	15
خير(الناس- الورى- البرية- مولود- الدعاة- العباد- الأنبياء- الأفاضل- الانام- خلق الله)	06	01	03	17	11	38
ابن الذبيحين/ صاحب القبلتين	02	02	02	01	01	08
المجموع	65	35	49	123	141	413

عندما نقرأ هذا الجدول أفقيا ، نجد أن اكثر الأسماء توظيفا في (على النهج) هو اسم: الرسول / رسول الله. والذي بلغ عدد تكراره 145، يضاف إليها النبي الذي تكرر 21 مرة، وقد حقق الاسم الأول نسبة مائوية بلغت 35.27%.. تلاه اسم المصطفى الذي تكرر 67 مرة، وحقق نسبة مائوية وصلت إلى 16.30%.

ومن خلال هذا المعطى الإحصائي، نفهم أن (الرسول صلى الله عليه وسلم) كان الشاعر إسماعيل زويريق يناديه برسالته، وبالتكليف الذي أمر بتبليغه (رسول الله).

اما رأسيا، فإن الجدول يقدم لنا صورة عن توظيف أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم وألقابه في كل جزء من (على النهج))، ومجموعها فيها.

فنجد ان الجزء الخامس يحتل المرتبة الأولى بتوظيف أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك ب 141 اسما نبويا شريفا، وبنسبة مائوية 34.14%. وفي المرتبة الثانية : الجزء الرابع ب 123 اسما نبويا، محققا نسبة مائوية وصلت إلى 29.78%. والجزء ال الأول احتل المرتبة الثالثة ب 65 اسما نبويا، محققا نسبة 15.73%، والجزء الثالث، المرتبة الرابعة ب 49 اسما، ونسبة 11.86%. والجزء الثاني المرتبة الخامسة والأخيرة ب 35 اسما، ونسبة 08.47 .

6- حقل اسم الجلالة: ورد اسم الجلالة في ديوان(على النهج) بأجزائه الخمسة بشتى المسميات، وفي كل القصائد المدرجة في الديوان...

وورودها قد اقتضاه السياق الموضوعاتي الذي هو المديح النبوي، والذي التزم به الشاعر في كل قصائده، فجاء اسم الجلالة متنوعا وحاضرا بقوة...ومن أسماء الجلالة التي تكررت كثيرا ،نجد:(الله- الخالق- الكريم- الإله- الرب- المولى- الحق- الرحمن- النور- الواحد- الملاذ- الأعلى- الوجود)...

والجدول التالي يبين عدد ورد اسم الجلالة بديوان (على النهج)، ونسبة ورودها..

الجدول رقم: 3 جدول اسم الجلالة

الجزء / اسم الجلالة	الأول	الثاني	الثالث	الرابع	الخامس	مج	النسبة المائوية
الله	64	63	51	137	114	492	89.94%
إله	00	00	03	02	03	08	1.46%
الخالق	01	00	00	00	03	04	0.73%
الكريم	01	03	00	01	00	05	0.91%
رب	00	12	03	10	04	29	5.30%
مولى	00	03	00	01	02	06	1.09%
الواحد	00	00	01	00	00	01	0.18%
الحق	00	00	02	01	00	03	0.54%
الرحمن	00	00	01	02	06	09	1.64%
النور	00	00	00	02	01	03	0.54%
الرجاء	00	00	00	01	00	01	0.18%
الملاذ	00	00	00	02	00	02	0.36%
الغفار	00	00	00	00	01	01	0.18%
إله+ مضاف	06	02	06	02	00	16	2.92%
رب+مضاف	00	07	01	12	06	26	4.75%
الأعلى	00	00	00	01	03	04	0.73%
المجموع	72	90	68	174	143	547	////

س- حقل دلالة الأعلام : تعد أسماء الأعلام من المعارف المحضة في اللغة، وهي تساعد على تقييد الحدث بأصحابه وعوامله وظروفه. فتقرر حقيقته وتزيل إبهامه، لكن دلالة الأعلام في الكلام الإنشائي تختلف عن دلالتها في الكلام التقريري الخبري.

ويمكن تقسيم أعلام الكلام إلى ضربين: أعلام الإخبار وهي التي تتعلق بها أطوار الحدث. ويقتضي تسلسل الحديث ذكرها. وكلام الإيحاء وهي

التي سيقت للتصوير عن طريق التشبيه أو الاستعارة أو الكناية، ولم يقتضها عامل ما، وإنما تخيرها الشاعر من رصيده الثقافي وارتضاها فنه مثلا للموضوعات المسوقة. فهذه الأعلام ليست دلالتها في ذاتها ولكن فيما وراءها من أبعاد. وهي في الجملة تعكس ثقافة وتبلور نظرة وتجلي صورا وخيالات.

و(على النهج) لاسماعيل زويريق يزخر بالأعلام، وجل أعلامها من قبيل أسماء الأشخاص وأسماء الأماكن والبلدان، حيث ورد 224 اسم شخص، و 181 اسم بلد ومكان.

ـ أسماء الصحابة: وردت أسماء الصحابة في (على النهج) 71 مرة، وهي كالتالي: (أبو بكر الصديق 10 مرات- عمر 28 مرة- عثمان 7 مرات- حمزة و خالد بن الوليد- مرة واحدة- وعبد الرحمن بن عوف و عمرو بن العاس مرتين، وسعد بن أبي وقاص وآخرون 16 مرة.

ـ أسماء الأنبياء والملائكة والنساء : ورد ذكر الأنبياء والملائكة والنساء 21 مرة. فجبريل تكرر 6 مرات، وأدم مرة واحدة، وإبراهيم 3 مرات، وإسماعيل مرة واحدة، وموسى مرتين، وعيسى 4 مرات، وعائشة وأمينة مرة واحدة، وخديجة مرتين.

الفصل الثاني:

البنية الصوتية و الأسلوبية في مديحه النبوي

البنية الصوتية في مديحه النبوي

اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[53]...والصوت عنصر أساسي في النظام اللغوي، والحديث عن النظام الصوتي هو حديث عن كل مكوناته في القصائد، وارتباط المعاني به...

والصوت: **"ككل الأصوات ، ينشأ من دبدبات مصدرها في الغالب الحنجرة لدى الإنسان.. ففي اندفاع النفس من الرئتين يمر الهواء بالحنجرة فيحدث تلك الاهتزازات التي بعد صدورها من الفم تنتقل خلال الهواء الخارجي على شكل تموجات حتى تصل إلى الأذن"[54]...**

- الصوامت في المجموعة الشعرية: الصوت الصامت هو: **"الصمت المهموس أو المجهور الذي يحدث في نطقه أن يعترض مجرى الهواء اعتراضا كاملا أو اعتراضا جزئيا، من شأنه أن يمنع الهواء من أن ينطلق من الفم دون احتكاك مسموع، كما في حالة الثاء، والفاء مثلا"[55]...**والديوان الشعري(على النهج)، يحتوي على صوامت تحقق أصواته.

وعندما نتمعن في هذا الجدول ، نجد أن عدد تكرار الصوامت في الديوان الشعري (على النهج) بلغ130624مرة، دون احتساب الصوائت الطويلة (الواو- الياء- الألف)...وأن الأصوات المهيمنة جاءت على الشكل التالي:

- النون (ن): وهو حرف زلقي، مجهور، متوسط بين الشدة والرخاوة.. وهو صوت نواح.. وقد تكرر في الديوان 11211 مرة..

---

[53]- ابن جني، الخصائص، تحقيق، محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة، بيروت، ط2، ج1، (دت)، ص: 33

[54]- أنيس، (إبراهيم)، الأصوات اللغوية، المكتبة الإنجلو مصرية، مصر، (د. ت)، ص:

[55]- السعران، (محمود)، علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي،ط2، 1977،ص:124

- اللام (ل): صوت لثوي جانبي ، مجهور.. متوسط بين الشدة والرخاوة.. يوحي بمزيج من الليونة والمرونة، والتماسك، والالتصاق.. وقد تكرر في المجموعة الشعرية 14281 مرة.

- الميم (م): صوت انفي من أصوات الغنة... شفوي ، وخيشومي إذا جاء مشددا.. مجهور ، متوسط بين الشدة والرخاوة. تكرر 11700 مرة.

- الهمزة(ء): حرف حلقي.. انفجاري... والانفجاري هو الصوت الشديد الذي ينحبس معه النفس عند مخرجه، وذلك بضغط الأعضاء التي تحدثه على بعضها حتى إذا انفصلت فجأة ، حدث الصوت كأنه انفجار[56]...تكرر12271مرة.

- (الراء(ر): حرف زلقي...مجهور، متوسط بين الشدة والرخاوة. تكرر7052 مرة.

- الباء(ب):حرف شفوي، مجهور.. شديد .. تكرر 6701 مرة.

- التاء(ت): حرف نطعي.. والنطع هو سقف غار الحنك الأعلى...مهموس.. رخو.. تكرر 7341 مرة.

- الفاء(ف): حرف شفوي.. مهموس، رخو.. تكرر 6089 مرة.

- الهاء(هـ): صوت حنجري.. رخو.. مهموس.. يتم نطقه عند احتكاك الهواء الخارج من الرئتين بالتضييق الحاصل في الأوتار الصوتية، فيحدث حفيفا يسمع في أقصى الحلق[57].. تكرر 8538 مرة.

---

[56]- عباس، (حسن)، خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،(د. ط)،1998، ص: 46-49

[57]- مهدي الموسمي،(مناف)، علم الأصوات، منشورات جامعة السابع من أفريل، 1993، ص: 87

- الهمزة(ء): حرف حلقي.. انفجاري... والانفجاري هو الصوت الشديد الذي ينحبس معه النفس عند مخرجه، وذلك بضغط الأعضاء التي تحدثه على بعضها حتى إذا انفصلت فجأة ، حدث الصوت كأنه انفجار[58]...تكرر12271مرة.

وعندما نجمع الحروف المجهورة المتكررة في المجموعة الشعرية، نحصل على التالي: مجموعها 36320، موزعة على الشكل التالي:

(ج تكررت 2707- ب 6701- د 4429- ذ 2282- ر 7052- ز 1204- ض 1971- ظ 521- ع 4408- غ 1326- ل 1428- م 1170- ن 1121). وبذلك تشكل نسبة بلغت 53.43%...من مجموع الصوامت..

والأصوات المهموسة في المجموعة الشعرية، عندما نجمعها نحصل على 48560 صوتا، موزعة على الشكل التالي: (ت 7341- ث 652- ح 3607- خ 1341- س 4790- ش 2323- ص 1926- ط 1725- ف 6089- ق 5341- ك 4887- هـ 8538.). وهذه الأصوات المهموسة شكلت نسبة 37.17%...

والأصوات الانفجارية، وهي ما انحبس معها النفس عند مخرجه، وذلك بضغط الأعضاء التي تحدثه على بعضها، حتى إذا انفصلت فجأة، حدث الصوت كأنه انفجار[59]...ويمكن جمعها في الجدول التالي:

الجدول رقم: 5 جدول الأصوات الانفجارية

الجزء	أ	ب	ت	د	ط	ك	ق	مج
المجموع	12271	6701	7341	4429	1725	4887	5341	53979

[58]- عباس، (حسن)، خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،(د. ط)،1998، ص: 46-49

[59]- عباس حسن، المرجع نفسه، ص: 46

وبذلك تعطينا نسبة بلغت 41.32% من مجموع الصوامت بالمجموعة..

أما الأصوات الرخوة، فالجدول التالي يعطينا صورة لها:

الجزء	ح	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	ء
المجموع	3607	4796	1204	1926	2323	2282	652	521	6089	8538	31935

وبذلك تعطينا نسبة بلغت 24.44% من مجموع الصوامت بالديوان(على النهج)..

هكذا نجد أن حرف اللام احتل الصدارة في مديحه النبوي، بحيث تكرر 14281 مرة.. وشكل بذلك نسبة 10.93%من بين الأصوات المجهورة. تليه الهمزة ب12271تكرارا.. ونسبة 9.39%.. ثم الميم ب 11700تكرار، محققة نسبة 8.95%.. فالنون ب11211تكرار. ونسبة8.58%...وهو صوت لثوي جانبي ، مجهور ، متوسط بين الشدة والرخاوة. يوحي بمزيج من الليونة والمرونة، والتماسك، والالتصاق.

وبعد هذا الجرد البسيط لأصوات الديوان الشعري (على النهج)، نستنتج أن عدد الأصوات المجهورة أكثر من عدد الأصوات المهموسة.. وهذا يجعلنا نستنتج أن المديح النبوي في الديوان(على النهج) لا يتضمن واقع الهدوء...والاستقرار المطلق.. والكلي... لذا تراكم الأصوات المجهورة هو تعبير عن الشوق، والتشوق والحنين والكشف عن الحالة النفسية التي تعاني مخاضا عسيرا جراء درجة العشق التي وصل إليها الشاعر..

- الصوائت ودلالتها في مديحه النبوي:

الصوائت les voyelles،هي حركات طويلة أو قصيرة، تتميز عن غيرها **"بطريقة النطق.. ففي التلفظ بها يمر الهواء عبر جهاز النطق بطلاقة"[60]...** والصوائت نوعان:

1- صوائت ثابتة، وهي الحركات التي تقع ضمن بنية الكلمة، مثل أواخر الكلمات المبنية...

كما تتضمن الحركات التي تلازم حروف المباني في الكلمات سواء أكانت قصيرة كالفتحة والكسرة والضمة...أو طويلة كالضمة الطويلة المتبوعة بواو(رؤوف)...

2- صوائت متغيرة. وهي العلامات الإعرابية من حركات قصيرة، وحركات طويلة في علامات الإعراب الفرعية(ا- و-ي)، للدلالة على الوظيفة النحوية للكلمة.

وتعد الصوائت من أقوى الأصوات إسماعا على الإطلاق، ومنها:

1- الصوائت القصيرة: و للصائت القصير وظائف عدة.. فعلى مستوى الحرف، يقوم الصائت بدور فعال، إذ يجعل من الصامت يصوت .. وعلى مستوى الكلمة، يقوم الصائت بدور الفونيم الذي يغير المعنى، ويحوره...

وعند رجوعنا إلى المدائح النبوية في (على النهج)، نجد أن الحركة القصيرة (الفتحة) وردت 60195 مرة، وذلك بنسبة 43.82% من مجموع الصوائت القصيرة... وقد لجأ الشاعر اسماعيل زويريق إليها لإعطاء دلالته الشعرية وضوحا، وقوة... حتى تصل رسالته دونما تشويش إلى المتلقي... وتأتي الكسرة في المرتبة الثانية في (على النهج)، بمجموع 42553، وقد بلغت نسبتها 30.98% من مجموع

[60]- حركات،(مصطفى)، الصوتيات والفونولوجيا، دار الآفاق، الجزائر، (د.ت)،ص: 49

الأصوات الصائتة...والكسرة صائت قصير أمامي فموي، منغلق، ليس فيه استدارة للشفتين..

وعندما نتبين دلالتها في الديوان الشعري، نجد أنها دلت على الرقة والهدوء، والحنين.. والتضرع والتوسل والدعاء.. الذي يصاحب لحظات تشوق الشاعر وحنينه للديار المقدسة...

وتأتي الضمة في المرتبة الثالثة، بمجموع 34598 مرة.. وبلغت نسبتها 25.19%...والضمة تعطي الدلالة رفعة وعلوا.. وتوحي بفخامة صوتية، عندما ترتفع مؤخرة اللسان إلى أقصى حد...مع رجوع هذا الجزء من اللسان إلى الخلف قدر الإمكان...

والضمة أقل وضوحا من الفتحة، ولذا لم يستعملها الشاعر بكثرة لأنه يدري أنها لا تفي بغاية إيصال الرسالة إلى متلقيها، ولا تعطي للدلالة وضوحها الذي يرومه...

2- الصوائت الطويلة: وهي الألف والواو والياء...ومجموعها في مدائحه النبوية 40850، وهي موزعة كالتالي: (الياء 13659- الواو 11659- الألف 15532).

هكذا نرى أن الهيمنة فيما يخص الصوائت الطويلة هي للألف، الذي حقق نسبة 38.02%...

والألف كائن لين، وهو يعطي للصوائت وضوحها، وقوتها.. وهي تفيد العلو والقوة، والرفع والامتداد بفضل ما يصاحبه من ارتفاع للصوت...

والشاعر زويريق لجأ إلى توظيفه، لأنه في لحظة مكاشفة، ومصارحة، وتبيين...فهو يكشف لنا عن دواخله وعن ما يشغل باله.. والشوق الذي ينتابه والحنين الذي يدفعه لزيارة الأماكن المقدسة والتعطش لزيارة مكة والمدينة.. والغضب الذي ينتابه وهو يرى الكثيرين يسيئون إلى رسول الله برسومهم الكاريكاتورية.. والساعات الجميلة التي يقضيها في تذكر

واستحضار الساعات الجميلة التي قضاها في مكة والمدينة حاجا ومعتمر،.ولذا هو يجهر بكل هذا.. ويخبر عن دواخله وهواجسه وما يشغل باله، ليكون واحدا من شعراء الذين قلبهم على لسانهم كما في قصيدته: (المرتجية) وغيرها، والتي يقول فيها:

هذه طيبة المنورة الأرهاء هذي المدينة الزهراء

هذه الطيبة السعيدة تبدو * من علو كأنها الجوزاء

فانضبط كلها الصوامع أنوار * وكل الأنوار فيها بهاء

ساقني طائرا إلى أرضها شوق وحب ورفقة أصفياء

فإذا الطرف من سناها قريض * وإذا الروح من بهاها حذاء

3 - الظواهر الأسلوبية في شعره :

الشعر لغة العرب، وحال لسانهم، وأساسه اللغة الفنية، إنه تفجير طاقة اللغوية.. يساعدها الإيقاع في شحن الدفقة الشعرية. ومن هنا يمكن القول بأن : " لغة الشعر هي الوجود الشعري الذي يتحقق في اللغة انفعالا وصوتا موسيقيا وفكرا"[61].

والشاعر تظهر فنيته وبراعته، وصنعته في تحويل الكلمات، والعبارات إلى صور تتميز بالحياة، والفنية، والشعرية. وإسماعيل زويريق ميز مدائحه النبوية أسلوبان:

أ)- **الأسلوب الخبري:**

[61] - الورقي، (سعيد)،لغة الشعر العربي الحديث، ص:8

ممن الأساليب التي نجدها في (على النهج): الأسلوب الخبري. فقد شكل هذا الأسلوب النسبة الكبرى في البناء الأسلوبي لقصائد المديح النبوي عند إسماعيل زويريق. حيث تمثل بنية الأسلوب الخبري الصريح عنصر الثبات والاستقرار في البناء الأسلوبي للمديح النبوي عنده، لأن هذا المديح يعبر عن الحقائق الثابتة المستقرة، أو الأحداث التي وقعت وانتهت، وأصبحت حقائق ومسلمات.

وغلب هذا الأسلوب لأنه اختص بأهم المقاطع وأصولها، وهو مقطع المديح النبوي، والذي يأتي فيه الحديث عن صفات الرسول صلى الله عليه وسلم الخلقية والخلقية، و معجزاته، وفضائله، وغزواته، وجهاده.

ومن الأساليب الخبرية في (على النهج)، نجد: النفي والتوكيد، واللذين يجسدان في (على النهج) نفسية الشاعر اسماعيل زويريق ومنظوره للمديح النبوي، والعشق الجامع للديار الإسلامية المقدسة. كما يعبر بهما عن أحاسيسه وشوقه وحنينه..

والأساليب الخبرية التي وظفها اسماعيل زويريق لها وظيفة واحدة تقريبا، وهي تقديم صورة عن دواخله الملتهبة والمتشوقة لمكة والمدينة المنورة، بالإضافة إلى الذود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضد كل المسيئين إليه.. والتعبير أيضا عن حالات الحنين والعشق اللذان يملآن قلبه.

1- النفي: النفي ضد الإثبات، ويأتي النفي في اللغة بعدة معان، ومنها: الإنكار أو التكذيب أو الإبعاد..

والنفي في الاصطلاح النحوي، هو أسلوب من الأساليب العربية، يفيد الإنكار والإخبار بعدم وقوع شيء معين في الماضي أو الحاضر أو المستقبل..

وينقسم أسلوب النفي إلى قسمين، هما: النفي الصريح، أو النفي الظاهر. والنفي الضمني، أو النفي غير الظاهر.

والنفي الصريح هو النفي الذي تستخدم فيه إحدى أدوات النفي، وأشهر هذه الأدوات: (لا- ما- لمَّا- لن- ليس- لات- إنْ- غير- لا النافية للجنس- لام الجحود)..

أما النفي الضمني، فيكون بغير أدوات النفي التي تحمل معنى النفي الصريح، وإنما يكون بأدوات أخرى شرطية أو استفهامية تتضمن معنى النفي، مثل:(لمَّا- لو- لولا).

وديوان (على النهج) بأجزائه الخمسة، تضمن النفي بنوعيه.. وعملية إحصائية تعطينا صورة عن هذا النفي وأدواته المستعملة...حيث تكررت في مديحه النبوي 2599 مرة، مقسمة كالتالي: (لا 1059- لم 599- لن 28- ليس 220- ما 338- لما 23- غير 68- لا النافية للجنس 114- إنْ 149- لات مرة واحدة.).

أما النفي الضمني، فقد تكرر 91 مرة وتجلى في تكرار: لو 45 مرة، ولولا ولما 23 مرة.

2- التوكيد: إن معنى التوكيد لغة كما ورد في (معجم مصطلحات النحو) على أنه: مصدر لفعل وَكَدَ من (وكد السرجَ) بمعنى شده[62].. واصطلاحا، هو في الأصل مصدر، ويسمى به التابع المخصوص. ويقال(أكَّد- تأكيدا)و(وَكَّد- توكيدا).وهو بالواو أكثر، وهو على نوعين: لفظي ومعنوي[63].

---

[62] - الفراهيدي،(الخليل بن أحمد)، معجم مصطلحات النحو، إصدارات بيروت، لبنان،(د.ط)،1990، ص:164

[63] - علي الصبان السافعي، (محمد)،شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ضبطه وصححه وخرج شواهده، ابراهيم شمس الذين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ج3، ط1، 1963، ص:107

وهو في اللغة يعني: الإحكام والتثبيت. وهو لفظ تابع لما قبله يقويه ويزيل عنه ما قد يتوهمه المتلقي، من احتمالات أو تردد أو تشكيك في قبوله. فهو تقوية للخطاب، "***فالكلام يوكد لإزالة الشك أو الاحتمال أو التردد عن المتلقي***"[64].. وأغراض التوكيد لا تخرج عن ثلاثة:

1- دفع غفلة السامع.

2- دفع ظنه بالمتكلم الغلط.

3- دفع المتكلم عن نفسه ظن السامع به أنه يريد المجاز[65].

والشاعر اسماعيل زويريق وظف أسلوب التوكيد في خطابه الشعري، ليعطيه قوته ودلالته، وصدقيته.. وإيلائه الاهتمام اللازم. وقد استعمل ثلاث طرق للتوكيد في شعره.

*1- التوكيد بالقصر :*وهو طريقة من طرق التوكيد.. والقصر في عرف اللغويين هو الحبس والإلزام .وفي عرف البلاغيين هو: تخصيص شيء بشيء، أو تخصيص أمر بآخر.. وتستعمل به أدوات لذلك وهي (إنما- النفي وإلَّا- ال- وضمير الفصل- لا- بل- لكن).

وعندما نعود إلى ديوانه (على النهج) بأجزائه الخمسة ،نجد توظيفا لتوكيد القصر. .كما في قوله:

انهضي إن النوم طال وغابت * عنك تلك الحقائق البيضاء

إنما العلم للمعالي سلاح * يفتح الأرض نوره الوضاء

---

[64] - علي عطية،(محسن)،الأساليب النحوية: عرض وتطبيق، دار المنهاج للنشر والتوزيع،ط1،2007،ص:148

[65] - أسعد النادري، (محمد)،نحو اللغة العربية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،(د.ط)،2005، ص:580

وقوله أيضا:

أي خبر والحب منك سهاء * ظللتهم وعطفك الأجواء

إنما الخير كله في يتيم * ما له إلا حضنك الأفياء

فنجد في هذا المقطع الشعري توظيفا لتوكيد القصر باعتماد الأداة(إنما)، ليؤكد الشاعر بواسطتها أن الرسول الكريم رغم يتمه فقد كان رحيما عطوفا، يحضن إليه اليتامى وشفق عليهم ويعوضهم فقدانهم لحنان الوالدين.. ولذا اتصف صلى الله عليه وسلم بالمحبة والحنان والرحمة والعطف على اليتامى..

كما يؤكد انه لا يمكننا أن نعيش في هذا الوجود بدون رحمة أو حنان أو عطف، بل الوجود ليعيش فيه الإنسان سعيدا لا بد من أن تسوده المحبة، ويسوده العطف، والتسامح والإخاء...

كما نجد توظيفا لتوكيد القصر- أيضا- في قوله:

لم أوت علما على العباد يرفعني * إلى مقام عزيز القدر مقتدم

ولا لبست لباس الزهد متقطعا * إلى عبادة ربي غير منتهم

ولا اتخذت كتاب الله مقتبسا * منه ضياء الهدى في ليلي الغسم

ما كنت في الصوم إلا غير محتسب * وفي صلاتي إلا غير ملتزم

وقوله أيضا:

ليس ما يشفي القلب إلا الطواف * ليس ما يحيي الروح إلا دعاء

وقوله كذلك:

يا نبي الهدى يحيرني أمران لا تتقيهما حوباء

ها هنا لا أود إلا بقاء * حيث أنت العطية الشماء

وإلى بيته المحرم نفسي * نازعتني واستضعفتني ذماء

وقد تم في هذا التوكيد توظيف النفي المتبوع بأداة الحصر (إلا).وبذلك أكد أمورا كثيرة يريد أن يدركها السامع/ المتلقي، ولا يدخله فيها أي شك، وهي:

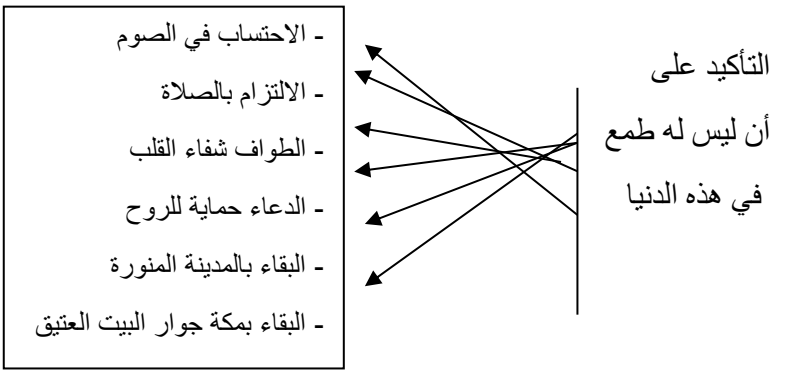

وهي أمور لا يدخلها شك، ولا يمسها تردد أو تدبدب. وهي أماني وقرها القلب وأثبتها اللسان وأكدها الفعل. وهو القيام بمناسك الحج والعمرة.

كما نجد أيضا توكيد القصر ممثلا في قوله:

قال للقوم في حنو كبير * أيها القوم أنتم الطلقاء

وقوله أيضا: **الله وحده هو الخالق ما * لغيره شان بهذا الأفق**

وقوله أيضا:

حجر أنت أيها الحجر الجو * ن فما السر في السواد الجوني

ففي هذه الأبيات نجد توظيفا لتوكيد القصر باعتماد تقنية تقديم المعرف والإتيان بعده بضمير الفصل. ففي البيت الأول يبين اسماعيل زويريق سماحة الرسول صلى الله عليه وسلم وعطفه وحبه لقومه. وحين فتح مكة قال لمشركي مكة والذين كانوا ينتظرون منه صلى الله عليه وسلم انتقاما وفتكا.. فكان رحيما بهم حين قال لهم : اذهبوا فأنتم الطلقاء. أي انتم أحرار.. وقد جاءت كلمة(القوم) معرفة ب(ال)، ثم تبعها ضمير الفصل الخاص بالمخاطب الجمع، ثم جاء اسم (الصفة)(الطلقاء)...

3- التوكيد بالقسم :وهو توكيد يعتمد أسلوب القسم. وأدواته (و- ب- ت) وكذلك (مُنْ-مِنْ- أيمن)..وقد ورد هذا التوكيد القسمي في شعر اسماعيل زويريق في قوله:

وربك لا ألوذ إليه إني * رأيت الذود عن حق جهادا

وقوله أيضا: **وعذرا يا رسول الله إن لم * أجد ردا ولم أحسن ذيادا**

فأيم الله عيني ما استطابت * بما فعلوا بما رسموا رقادا

وقوله كذلك: **قال:" تالله ما قضى نحبه لكن له بالنبي موسى اقتداء**

ففي هذه المقاطع الشعرية نجد توظيفا للقسم، حيث نجد حرف القسم (الواو- التاء)،ونجد المقسم به(رب- الله) والمقسم وهو الشاعر في الأول، وعمر بن الخطاب في الثاني.. وهذا القسم جاء به الشاعر للتأكيد على أمور ثلاثة لا يرى فيها محيدا.. وهي:

- أن الذود عن رسول الله ودرء المسيئين له بأقوالهم ورسوماتهم هو نوع من الجهاد عند الشاعر.

- الاستياء مما فعله الدانيماركيون والفرنسيون حين نشروا رسومات كاريكاتورية مسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم.

- عدم تصديق عمر خبر موت النبي محمد صلى الله عليه وسلم.. وشق ذلك عليه.

كما نجد اسماعيل زويريق يوظف في القسم (أيمن)التي يختصرها (يرخمها) في (أيم) مع استعمال الفاء كحرف القسم.. بالإضافة إلى استعمال المفعول المطلق (المصدر) كتقنية لتحقيق القسم كما في قوله:

- ضاقت علينا الأرض وانسدَّ أما * منا وأيم الله باب الأفق

- فالله أنت لا سواك مبدع * أنت الذي فتحت كل مغلق

- قسما لن أذوق سمنا ولن أشرب دَرّا أو تبدن العجفاء

- فأيم الله عيني ما استطابت * بما فعلوا بما رسموا رقادا

3- التوكيد بالأداة: وهو توكيد يتم باعتماد أدوات التوكيد وهي(إنَّ- أنَّ- لكن- أمَّا- لام الابتداء- الباء ومن الزائدتان- قد – لام التوكيد- نونا التوكيد الشديدة والخفيفة- السين). وهذا التوكيد نجده في شعر اسماعيل زويريق، حيث وظف بعضا من هذه الأدوات لتأكيد خطابه الشعري.. كما في قوله:

هذا كتاب الله يا هذا فلا * تكن الجهول بشأنه المتمنع

ولتعلمنَّ بأنني رغم الذي * يجري لأجراس الوغى لم أقرع

وقوله أيضا:

أنت يا الله لولاك لما كان بشر

لا ولا كان لهذا الكون يا رب أثر

فإلى الله ارجِعَنْ إن غلب النفس ضجر

ففي هذه الأبيات الشعرية نجد توظيفا للتوكيد باعتماد لام التوكيد ونون التوكيد الشديدة(ل+ تعلم + نَّ)،وتوكيد فعل الأمر (ارجعْ) باعتماد نون التوكيد الخفيفة (ارجعَ + نْ)..

وفي قوله أيضا:

إنَّ المعاصي وإن دقت صغائرها * هي الطريق بلا ريب إلى الحدم)

حيث جاء التوكيد باستعمال الناسخ الحرفي (إنَّ) والذي يفيد التأكيد.. والشاعر يؤكد بأن المعاصي مهما صغرت فهي طريق إلى الإفلاس والخسران.

*** التوكيد بالمصدر(المفعول المطلق):** وقد ورد هذا النوع من التوكيد في شعر اسماعيل زويريق كما في قوله :

لم تؤثر فيهم مؤاذاة باغ * لا ولا نال منهم الأعداء

صبروا صبر من يرى الصبر هند الله أمرا جزاؤه الفجاء

وقوله أيضا:

خدعوا الناس خدعة * لا ترى فيها سوى ما قد تنكر الفجماء

مكروا مكرا أصبح الدين منه * في عناء ما بعده إعناء

وقوله كذلك:

هزني الشوق هزة الريح تسري * في مغان أشجارها خضراء

ف(مكرا- هزة- صبرَ) مفعول مطلق جاء لتأكيد الفعل (القول)،ولو أن الأول والثالث جاءا لتبيان نوع الفعل...

*** التوكيد اللفظي(التوكيد التكراري/بالتكرار):** ويكون بتكرار اللفظ مرتين. وهذا النوع من التوكيد نجده موظفا في شعر اسماعيل زويريق كما في قوله:

أنت أنت الرسول أنت النبي المجتبى مدحك الزكي شفاء

فقد تكرر الضمير مرتين مما حقق هذا التكرار توكيدا للخطاب الشعري..

وعندما نعود إلى ديوان (على النهج) ونقوم بعملية إحصائية للتوكيد بأنواعه نحصل على التالي:

الجدول رقم::6 - جدول التوكيد بالقصر

الجزء		الأول	الثاني	الثالث	الرابع	الخامس	المجموع
التوكيد بالأداة	النفي+إلا	00	31	49	42	55	177
	إنما	00	09	08	16	05	38
	ال+الضمير	00	00	00	03	14	17
التوكيد بالقسم	الواو	02	00	00	00	00	02
	التاء	01	00	01	00	00	02
	الباء	00	00	00	00	01	01
	الفاء	00	00	00	00	01	01
	القسم بالفعل	01 (أقسمت)	01	02	00	01	05
التوكيد بالمصدر(مفعول مطلق)		00	02	00	00	00	02
المجموع		04	43	60	61	77	245

الجدول رقم: 7 - التوكيد بالأدوات والتوكيد اللفظي

الأدوات / الجزء										
أنَّ	24	10	08	12	02	56	115	01	04	518
إنَّ	49	26	09	26	05					
لكنَّ	00	00	01	00	00					
أمّا	04	00	00	00	00					
قد	113	16	86	51	252					
لام التوكيد	00	00	00	00	00					
نونا التوكيد(الشديدة والخفيفة)	01	00	00	02	00					
السين	00	02	01	11	29					
التوكيد اللفظي	03	00	00	00	00					
المجموع	194	54	105	102	288					

ب)- الأسلوب الإنشائي:

اللغة أداة للتعبير.. ولغة الشعر لغة فنية تتميز بالطاقات الموسيقية والفنية والتصويرية. واللغة إنشاء وخبر. والإنشاء هو كل كلام لا يصح أن يقال لصاحبه: إنه صادق فيه أو كاذب.. أو كل كلام لا يحتمل الصدق

أو الكذب لذاته. أو هو ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا إذا تُلفظ به وهو إما إنشاء طلبي أو غير طلبي.

والإنشاء الطلبي ما تضمن طلبا غير حاصل وقت الطلب، ويكون بالأمر والنهي والاستفهام، والتمني، والنداء...

وفي ديوان (على النهج) لشاعر النخيل اسماعيل زويريق نجد حضورا للإنشاء حيث تجلى في مجموعة من الأساليب، منها:

- الاستفهام: ورد الاستفهام في ديوان(على النهج)..وتميز هذا الأسلوب بورود أدوات الاستفهام للتعبير عن الشوق والتشوق واللوعة، وشدة الهوى.. فنجده يقول:

فأينه من رضاب جيد ناهله * لا الراح راح ولا المعسول معسول

لا الليل يفزعني إن جادني ألم * ولا النهار يوافي منه تسهيل

من ذا يبلغني والخرق متسع * وبين أطرافه بيد مجاهيل

فكيف تدرك يوما ما يسهدني * وطائر القلب عن دنياي مشغول

وعندما نتتبع هذا الاستفهام نجد أن أدواته متعددة ومتنوعة، والجدول التالي يعطينا صورة عن هذا الأسلوب الاستفهامي وأدواته...

الجدول رقم: 8: جدول أدوات الاستفهام

الجزء / الأدوات	الأول	الثاني	الثالث	الرابع	الخامس	المجموع
أين	07	23	15	43	11	99
من	03	00	00	07	30	40
كيف	29	00	54	38	39	160
هل	05	02	01	08	11	27
ما	13	11	04	25	19	72

متى	01	02	00	01	06	10
أي	03	04	05	16	00	28
أنّى	01	00	00	00	00	01
كم	01	00	00	02	19	22
لماذا	01	00	04	00	00	05
أ(الهمزة)	00	03	01	02	03	09
ماذا	00	00	00	05	09	14
بدون أداة	01	00	00	00	00	01
المجموع	65	45	84	147	147	488

2- النداء: وهو التصويت و دعوة المنادى للإقبال والقدوم إليك. ويكون بأدوات النداء(الهمزة- أي- أيا- يا – هيا- آ- آي- وا)...

والنداء ظاهرة أسلوبية مهمة في البناء الشعري. وعندما نلاحظ النداء المستعمل في شعر اسماعيل زويريق نجد نمطين من النداء:

- النداء المعتمد على أداة النداء.. كما في قوله:

من لي بواسطة تقضي لبانتها * روحي ويشفي الحشا مسح وتقبيل

يا راحلين إلى الزهراء وقرني * هذا الفراق وهدتني بلابيل

وقوله من قصيدة(يا فؤادي):

يا فؤادي لم يشجني بعد هذا * غير ما ذكرت به الرمضاء

- والنداء المستغنى فيه عن أي أداة نداء.. كما في قوله:

مولاي أي جواد ما كبا أبدا؟ * وأي سيف ينبو غير متهم

وقوله أيضا:

خير البرية إني جئت ممتدحا * بما تيسر لي من صادق الكلم

ويمكن أن نستخرج النداء من شعره فنحصل على الجدول التالي:

الجدول رقم:9 جدول أدوات الاستفهام

الأدوات / الجزء	يا	أيها	أيا	يا أيها	بدون أداة	المجموع
الأول	61	03	02	01	02	69
الثاني	19	12	03	00	03	37
الثالث	59	12	02	00	00	73
الرابع	144	36	19	04	04	207
الخامس	53	08	10	01	01	73
المجموع	336	71	36	05	10	459

وهذا النداء الموظف في شعره والذي يبلغ 459 نداء يبين مدى ارتباطه بالآخر، والذي يتوجه إليه الخطاب. ويمكن أن نميز به:

- النداء الموجه إلى الله تعالى: يلتجئ إلى الله مناديا، شاكيا له غربته ووحدته، وشوقه إلى زيارة الكعبة وقبر النبي الكريم والأماكن المقدسة.. ويسأله في ندائه المغفرة والتوبة والتجاوز عن ذنوبه وخطاياه:

يا إلاهي إنني في * هذه الدنيا غريب

غلت القلب ذنوب * وعلت نفسي ندوب

كيف ألقاك وما في * جعبتي إلا العيوب

- النداء الموجه إلى الرسول (ص):نداؤه إلى الرسول يشكوه تفرقة الأمة الإسلامية، وانغماسها في اللذات، وابتعادها عن الدين وأخلاق الإسلام ومكارمه. إنها صرخة إدانة للمجتمع العربي وما يسود فيه من تفكك ورداءة خلق وسوء طباع:

يا هادي الناس إن الأمة انفرطت * عقودها وانتصت فيها الأباطيل

وخيم الجور وارتاغت ثعالبه * وما علينا لردع الجور تعويل

- النداء إلى ذاته (نفسه): في مقام الدعاء والتوجه إلى الله تعالى، لا ينسى أن يوجه نداءه إلى نفسه يعاتبها على أخطائها وشهواتها.. ويذكرها بالموت والفناء والحساب، وملاقاة الله تعالى. ويذكرها بما ستلقاه غدا إذا لم تكن قد عملت صالحا:

يا فؤادي ما هذه الأخطاء * إنما نحن في الوجود هباء

يا فؤادي لم يشجني بعد هذا * غير ما ذكرت فيه الرمضاء

- النداء الموجه إلى الطلل والآثار والبنايات: أمام بيت الله العتيق يجهر بندائه سائلا البنايات والآثار عن رواسمها، وكيف أنها كلها بادت وانمحت إلا الكعبة فمنذ بنائها من طرف ابراهيم الخليل وولده اسماعيل عليهما السلام وهي قائم لأن الله حباها بعنايته وحفظها وحماها من أي مكروه:

أيتها الآثار التي شيدت * فوق الثرى من هياكل وحصون

قد عفاها الزمان يوما وأضحت * خبرا ما فوق البياض الدكين

- النداء إلى الأماكن المقدسة (مقام ابراهيم): لشدة شوقه وحنينه لزيارة الأماكن المقدسة ومكة والمدينة المنورة، يوجه نداءه إلى مقام ابراهيم وسط الحرم المكي.. وفي ندائه إليه يبثه لواعجه ويشكوه شوقه وتشوقه، ويبين له أنه ظامئ لرؤية هذا المقام، والصلاة فيه والارتواء من زمزمه. كما أنه في ندائه يبين أمنيته في أن يتحول إلى حمامة ليبقى ملازما للكعبة.

- النداء إلى مكة المكرمة: ويوجه نداءه إلى مكة مبينا أنها مدينة الخير وأنها أطيب المدائن.. وتمتاز بقداسة وأن شوقه إليها كبير.. وأنها هي منيته الوحيدة في هذه الدنيا أن يكون فيها معتكفا زائرا ومقيما.. وأنه شرف بقول الشعر فيها. وقد استعمل فيها النداء بدون أداة النداء:

مكة الخير مدينتي كلها لا * تقفلي دونك المسدَّ ودوني

إنني أبصرت المدائن طرا * دونها في قداسة التكوين

مكة نور أسمى من الحق يرتا * د سماء العلا بنور اليقين

- النداء إلى المدينة المنورة: يوجه نداءه إلى المدينة المنورة يغبطها على أنها تحتضن قبر النبي صلى لله عليه وسلم، وأنه مبتهج لأنه يقوم بزيارتها، وسعيد بقوله الشعر فيها:

ها أنا يا مدينة المصطفى بين مغانيك شاعر مهداء

ليس عندي إلا القصائد تمليها على أسماع الورى حوباء

- النداء إلى الحجيج والزائرين: ا ينسى أن يوجه نداءه إلى الحجيج ولزائرين يأمرهم بالتحلي بأدب الزيارة، وخفض الصوت في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، وأمام الروضة الشريفة(ضريح النبي (ص))..

أيها الزائر اخفض الصوت خفضا * ها هنا القبر ها هنا الأشذاء

ها هنا سيد الوجود رسول الله هذا ضريحه المقراء

ها هنا يرقد البشير النذير المجتبى من به الوجود مضاء

3- الأمر : الأمر هو طلب فعل ،وهو إلزام...وفي(على النهج) نجد 435 فعل أمر يتحقق بها أسلوب الأمر. ورغم قلته فله حضور. .من خلاله عبر عن أحاسيس لشاعر وعلاقته مع الآخر.

وعندما نتمعن الأمر المستعمل في قصائد اسماعيل زويريق، نجده قد جاء في صيغ، هي:

* فعل الأمر المباشر: و الذي تكرر في (على النهج) 435 ،كما في قوله الموجه إلى سعاد:

كفي عن اللوم ما للوم متسع * فالدهر وغد على التشتيت مجبول

دعي الكلام فريب الدهر أقعدني * وسيفه مصمت الحدين مسلول

فقصري لا أراك اليوم مدركة * مهما فعلت لأني عنك مشغول

* الأمر بواسطة لام الأمر: والذي تكرر مرة واحدة. كما في قوله:

من بات والغيرة الزرفاء ما وغرت * فؤاده فليخط في خفة كفنه

* الأمر باستعمال المصدر: والذي تكرر أربع مرات، كما في قوله:

رفقا حمم المنحنى * فالنفس تشجيها المنى

مهلا على رسلك حادي الأينق * ولا تكلفها بما لم تطق

فجاء الأمر من فعلين محذوفين تقديرا(إرفقْ- مهل) ليصبح (المفعولان المطلقان) نائبين عن الفعل المحذوف...

* الأمر باستعمال اسم فعل أمر: والذي تكرر خمس مرات، كما في قوله:

هات كأسا مملوءة فأنا في * مركز الكون نبتة هيفاء

هات ألفا من زمزم بعد ألفين فما يطفئ الأوام ارتواء

4- النهي: النهي هو طلب الكف عن الفعل.. كما في قوله:

*** فلا تمل إن تمل ريح الهوى بك يوما فالهوى أمره عون على الندم**

*** لا تعلق إلا هي باب الرجاء علي فما غيره أرتجي**

*** لا تنله وأنت رجس فلا يلمسه إلا الطهر الوضَّاء**

وفي ديوان(على النهج) نجد 27 نهيا .

- الإنشاء غير الطلبي:

ويكون بأساليب (التعجب- المدح والذم- القسم- أفعال الرجاء- صيغ العقود)...

1- المدح والذم : وفي ديوان(على النهج) نجد أسلوب المدح والذم كما في قوله:

حبذا لو أصبحت دار قراراي * وتلمَّى بي من شراك فِناء

متحف جل ما احتوت منه أنحا * ء وما منه استوعبت أرجاء

حبذا الموت عند مثواك * يا أكرم إنسان طالته سماء

وقوله أيضا:

نعم ما آمنوا به نعم ما قد * فعلوا ،نعم ما إليه فاءوا

وقد ورد أسلوب المدح والذم في ديوان (على النهج) على الشكل التالي:(نعم) تكررت 8 مرات، و(بئس) مرة واحدة...

2- التعجب : ورد في (على النهج) بعض من أسلوب التعج ،وقد حضرت الصيغتان معا في شعر اسماعيل زويريق (ما أفعل !- وأفعل به)..وترجع قلة حضور التعجب إلى اعتماد الشاعر أساليب أخرى في صياغة التعجب كالاستفهام والنداء...

وحضور التعجب بصيغتيه لم يتجاوز 10 تكرارات، منها 9 صيغ على صيغة (ما أفعل!).. وتكرار واحد لصيغة (أفعل به).كما في قصيدته (بانت سعاد):

وقفت والنفس كلمى غير صاحية * والصدر مني بماء العين مبلول

كان الوداع وما أشقاك ساعته * ومعطف الليل فوق الشط مسدول

وقوله أيضا:

البعد يقصيك عني غير راحمة* والشوق يدنيك من قلبي ومن خيمي

الرزء أعظم به ما كالفراق على * قلب امرئ لين في الطبع محتشم

- دور الأساليب الإنشائية في(على النهج):

للأساليب الإنشائية دور في مديح اسماعيل زويريق النبوي، وكان أكثر هذه الأساليب: النداء والاستفهام.

ويبين اعتماد الشاعر أسلوب النداء في شعره مدى علاقته بالآخر.. وإذا قلنا الآخر، فنقصد به(الممدوح الرسول صلى الله عليه)، ويشمل هذا الآخر أيضا الأماكن المقدسة التي يحن الشاعر زويريق إلى زيارتها، وذاته- أي النفس الشاعرة المتشوقة- ثم الحجيج والذي يدخل في هذا الآخر. وهل كل زائر للمقام المكي النبوي.

وهذا الآخر له حضور قوي في ذهنية الشاعر ونفسيته. ويأكل شكل التيمة الأساسية في قصائده المديحية. فالشاعر اسماعيل زويريق " ***يتجه دائما إلى الخارج، فيتمثل الغير على أنه مركز الثقل في تعبيره*** "..
كما تمثل هذه العلاقة وهذا التوظيف عمقه الإسلامي.. وروحه الإنسانية والصوفية. كما نلحظ - أيضا- في أسلوبه الندائي علاقة المنافرة، والسخط وعدم الرضا، واللوم ،والهجو. كما في قصيدته الموجهة إلى رسامي لكاريكاتور المسيئين للرسول صلى الله عليه وسلم.. او في القصيدة الموجهة إلى القس(تيري) الذي قام بحرف نسخ من القرآن الكريم.. أو في القصيدة التي يرد فيها على الشاعر الإيراني المسيء للإسلام، والصحابة الكرام..

ونجد في أسلوب النداء، ميزات.. أو خصوصيات يتسم بها شعره، وهي:

* النداء المتسم بالتوسل والإذلال.

* النداء المتسم باللوم والعتاب.

* النداء المتسم بالاحتقار والإدانة.

* النداء المتسم بالتذكير والتحدي والافتخار.

الفصل الثالث :

البنية الإيقاعية في مديحه النبوي

الإيقاع والموسيقى

1- تعريف الإيقاع:

يلعب الإيقاع دورا كبيرا في صنع شعرية القصائد الشعرية. و" ***هو الملمح النوعي للشعر العربي منذ القديم، أو على الأقل هو الملح الحاضر في كل النصوص التي لم ينازع في شعريتها*** " [66] . والإيقاع مصدره في الشعر العربي القديم تكرار التفعيلة الواحدة بما تنطوي عليه من أحرف متحركة وساكنة.. ينبعث عنها نغم متميز محدد الزمن والبنية الصوتية[67].

وهو عنصر يتأسس عليه الخطاب الشعري. ويرى فيه الأستاذ علوي الهاشمي أنه" الضلع الذي لا يكتمل المثلث الشعري إلا به. وقد لا تكون للنص بنية فنية بدون وجوده [68]..

والإيقاع أشمل من الوزن، وأهم منه .. فهو تكرار التفعيلات، أما الوزن فهو مجموع التفعيلات التي تنبني عليها القصيدة. وهما معا يشكلان الإطار الموسيقي للقصيدة العربية.. و التي هي نوعان: خارجية وداخلية – كما يؤكد ذلك - الدكتور يوسف حسين بكار، حيث يرى أن " ***موسيقى القصيدة في النقد الحديث قسمان: خارجية يحكمها***

---

[66] - العمري،(محمد)،مسألة الإيقاع في الشعر الحديث، مفاهيم وأسئلة، مجلة فكر ونقد، ع 18،ص:55

[67] - العاكوب، (عيسى علي)،العاطفة والإبداع الشعري،ص:223

[68] - الهاشمي،(علوي)،فلسفة الإيقاع في الشعر العربي، دار فارس للنشر والتوزيع، البحرين، ط1،2006،ص:34

العروض وحده وتنحصر في الوزن والقافية. وداخلية تتحكمها قيم صوتية باطنية أرحب من الوزن والنظم المجردين"[69]

2- الإيقاع الخارجي:

أ)- الوزن: اهتم النقد العربي بالوزن الشعري، واعتبره من الأساسيات، التي تصنف على ضوئه القصيدة. ومن ثم الاهتمام بالوزن وعلاقته بالموضوع وما يرتبط بهما من عاطفة. فشعر المديح النبوي يتوحد تحت عاطفة الشوق والحنين.

وعندما نعود إلى ديوان(على النهج) بأجزائه الخمسة ،نجد أن الشاعر اسماعيل زويريق لم يخرج على النسق الموسيقي القديم، ويمكن أن نتلمس ذلك من خلال الإحصائيات التالية:

الجدول رقم: 10 عدد البحور الموظفة في الديوان

الجزء	البسيط	المتدارك	الطويل	الخفيف	الوافر	الرمل	الرمل	المتقارب	المتقارب	الرجز	الكامل	المجموع
الأول	02	01	00	15	00	00	00	00	00	00	00	18
الثاني	01	00	00	12	01	00	00	00	00	00	00	14
الثالث	00	00	00	26	00	00	00	00	00	00	00	26
الرابع	02	01	01	07	01	02	02	02	01	00	03	22

[69] - حسين بكار،(يوسف)،بناء القصيدة في النقد القديم، دار الاندلس، بيروت ،لبنان، ط3،1983،ص:193

النظام	07	03	04	06	01	01	01	05	00	26	02	57
المجموع	12	05	05	66	03	03	03	07	01	26	05	136

وكل بحر من هذه البحور قد تضمن مجموعة من الأبيات نجملها في الجدول التالي، والتي أعطتها ترتيبا آخر. والشاعر اسماعيل زويريق اعتمد الوزن كقالب موسيقي صب فيه تجربته الشعرية. وقد استطاع أن ينجح في أن يوائم بين موسيقى شعره وموسيقى إحساسه. وهو يعرف بأن الوزن ينبع "**من حالة التوازن التي توجد نتيجة الصراع بين نزعتين متضاربتين. أولاهما: إطلاق العاطفة المشبوبة دون قيد ولا شرط. والثانية هي السيطرة على هذه العاطفة الثائرة، وذلك عن طريق فرض نظام عليها، أو وحدة موسيقية تتكرر بشيء من النظام، وتتخذ حالة التوازن لنفسها شكل الوزن، وتعمل في الوقت نفسه على أن تديم الصراع الذي يولدها أصلا. إذ إن الوزن على الرغم من كونه وليد الصراع بين العاطفة والإرادة الواعية، هو ذاته من شأنه أن يثير العاطفة، ويود الشاعر أن تظل هذه العاطفة ثائرة مهتاجة بقصد إحداث اللذة، وباستمرار الوزن تدوم العاطفة وتدوم الرغبة الواعية للسيطرة عليه**"[70]..

وعندما نقف إلى مديح اسماعيل زويريق النبوي، نجد أن له ثلاث خاصيات، و هي: الموسيقى والحركة، والصورة. وهي بثلاثتها تشكل

[70] - د. دياب،(عبد الحي)،شاعرية العقاد في ميزان النقد الحديث، دار النهضة العربية، القاهرة،(د.ط)،1969،ص:199

المحيط الشعري للقصيدة المديح النبوي عنده، وتشكل كلامه، وتجربته الفنية.

واسماعيل زويريق كشاعر، يعتني بهذا المحيط، وبالتالي فهو يعتني بمديحه النبوي. والسؤال المطروح هو:

- ما هي الموسيقى الإطار التي حددت وظائفية الشعري في قصائد المديح النبوي عنده؟

من زوايا هذا الإطار الموسيقي في مدائحه النبوية نجد:

أ- البحور: فما هي الأوزان التي اعتمدها زويريق في (على النهج) بأجزائه الخمسة؟

استنتاج ملحوظ من خلال تتبع قصائد الديوان، هو أن تخير البحور ارتبط بالنفس وحالتها، وبالمزاج الخاص أثناء كتابة القصيدة. فالحالة النفسية لها دور كبير في تخير البحر وقافيته. ويؤكد لدكتور محمد الهادي الطرابلسي[71] بأن بحور الشعر يمكن تقسيمها إلى ثلاث مجموعات:

- مجموعة الكامل والوافر والتي يقوم كل بحر منها على 30 مقطعا.

- مجموعة الطويل والبسيط والمديد ويقوم كل بحر منها على 28 مقطعا.

ومن خلال الجدول، نستنتج أن الشاعر اسماعيل زويريق يميل إلى استخدام البحور التامة أكثر من مجزوئها أو منهوكها. فنجده قد استخدم

[71] - الهادي الطرابلسي،(محمد)،خصائص الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية،1981،ص:21

تسعة من البحور التامة، تقاسمت 82 قصيدة. وبلغت نسبة استخدام البحور التامة 81.81%...

أما عدد البحور المجزوءة في (على النهج) فقد بلغ 4 قصائد.. ثلاث منها اعتمدت مجزوء الرمل، وواحدة اعتمدت مجزوء المتقارب. وبلغت نسبة البحور المجزوءة 18.18%..وهذا يدل على تراثية الشاعر، ونظمه على عروض الخليل.

ومن خلال الجدول نستنتج أن بحر الطويل نزل إلى المرتبة الخامسة.. وقد كان هذا البحر يتربع على عرش الأوزان العربية في الشعر العربي القديم.. وهي خاصية تمس كثيرا من شعراء العربية. وهذا يبين أن الشعراء في عصرنا هذا أصبحت لهم رؤية مغايرة للسابق للبحور الشعرية العربية.

ـ خصائص البحور المستعملة ووظيفتها الأسلوبية:

* **الكامل**: وهو من الإيقاعات التي يرد فيها الكلام جزلا وحسن الاطراد[72].. ويقع في مدائح اسماعيل زويريق النبوية في المرتبة الخامسة. وقد نظم مديحته على إيقاع الكامل الذي تجلت وظيفته الأسلوبية في قدرته على استيعاب هذه التجربة المتدفقة شوقا وحنينا وحبا صادقا.

* **البسيط**: يعتبر استعماله إشارة واضحة على تأثر الشاعر اسماعيل زويريق بزيارته لمكة والمدينة المنورة والأماكن المقدسة في 2004.. فتحركت مشاعره وتأجج شوقه وحنينه لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

[72] ـ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،ط2،1981،ص:205

والبسيط له طواعية. فهو متنوع التفاعيل، إضافة إلى ما يحدثه من تنوع نغمي وتلوين إيقاعي، وارتفاع وهبوط في درجة الإيقاع الداخلي للكم الموسيقي[73]..واحتل في ديوان (على النهج)المرتبة الثالثة..ب12 تكرارا، ونسبة تكرار بلغت 8.82%.

* **الخفيف:** وهو من الإيقاعات التي أقبل عليها الشعراء الذين غلب عليهم الاتجاه الوجداني أو الرومانسي لاما يمتاز به من ليونة تجعله مناسبا للانفعالات المختلفة[74].. وقد احتل في شعر اسماعيل زويريق المرتبة الأولى ب66 قصيدة ..ونسبة تكرار بلغت 48.52%.

* **الرمل:** يمثل الرمل في الذائقة الشعرية التقليدية قديمها وحديثها مرتبة خلفية قياسا على تشكلات أخرى .وهو بحر ازدهر في فن الموشحات[75]... وقد احتل في (على النهج) كبحر تام المرتبة الثامنة، حيث تكرر ثلاث مرات، وحقق نسبة 2.20%.

* **الطويل:** يسجل إيقاع الطويل تراجعا ملحوظا في مدائح اسماعيل زويريق النبوية، حيث يحظى بالمرتبة الخامسة، فقد تكرر في 5 قصائد، وبلغت نسبة تكراره 3.67%.. وقد ساعد بحر الطويل بإيقاعه الهادئ نسبيا على استيعاب تجربة الشاعر زويريق...

ومن خلال الجدول السابق نتبين أن النسبة الكبيرة في عدد الأبيات كانت لبحر الخفيف. حيث بلغت القصائد التي نسجت على تفعيلته 16 قصيدة، محققة بذلك نسبة 18.60%.وبلغ عدد أبيتها ما مجموعه 2626..ونسبة

---

[73] - د. السعران، (محمود)، البنية الإيقاعية في شعر شوقي، ص:63

[74] - د عياد،(شكري محمد)،مدخل إلى علم الأسلوب، أصدقاء الكتاب للنشر والتوزيع،ط1989،5، ص:58

[75] - الورتلاني، (خميس)، الإيقاع والشعر العربي الحديث، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط2005،1،ص:235

مجموع أبياته 41.57%.وهذا لخصوصيات بحر الخفيف والتي تمتاز تفعيلته (***فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن***) بإيقاعيتها وموسيقاها.

كما ناسب هذا البحر مزاج الشاعر اسماعيل زويريق وما يصطخب في نفسه من وجدان وشوق وحنين وتشوق لزيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

والجدول التالي يبين تكرارات البحور في (على النهج) ونسب تواترها و تكرارها..

الجدول رقم: 11 جدول لبحور وتكرارها

رتبة البحور حسب عدد الأبيات		عدد القصائد	نسبة التكرار	عدد الأبيات	نسبة تواترها
1	الخفيف	66	48.52%	2626	43.48%
2	الرجز	26	19.11%	856	14.17%
3	البسيط	12	8.82%	820	13.57%
4	الرمل	03	2.20%	506	8.37%
5	المتقارب	07	5.14%	275	4.55%
6	الكامل	05	3.67%	271	4.48%
7	مجزوء الرمل	03	2.20%	241	3.99%
8	الطويل	05	3.67%	173	2.86%
9	المتدارك	05	3.67%	146	2.41%
10	الوافر	03	2.20%	110	1.82%
11	مجزوء المتقارب	01	0.73%	15	0.24%
المجموع		136	///////	6039	/////

ونلاحظ – أيضا- من خلال الجدول فيما يخص استخدام البحور كإطار صوتي/موسيقي، أن الشاعر اسماعيل زويريق لم يخرج في بناء

مدائحه النبوية عن بحور الخليل بن احمد الفراهيدي. فقد تقيد بها تقييدا كاملا. ومن هنا نقول بان اسماعيل زويريق شاعر تقليدي، محافظ على القديم ونظامه العروضي، ولو أنه لم يستخدم البحور الستة عشر كلها. فلا نجد في ديوانه (على النهج) بحورا أخرى، مثل (السريع- المنسرح- المديد- الهزج- المجتث- المضارع- المقتضب).

لكن الملفت للنظر هو أن الشاعر اسماعيل زويريق لم يأت بهذه البحور سليمة التفعيلات، بل نجد ان عملية الانتهاك والخرق طالت الوزن في حد ذاته. ويتمثل ذلك على صعيد التفعيلات وما اجتاحها من زحافات وعلل. كما في قوله من قصيدته (بانت سعاد):

بانت سعاد فما للحزن تمهيل الدمع منسجل والجسم مهزول

ظمآن والكأس في كفي مترعة لا نهر درعة يرويني ولا النيل

إذ كلما راق لي من صفوه قدح يحول دوني ودون الورد تبسيل

وهذه القصيدة جاءت على وزن البسيط الذي تفعيلته (مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن):

بانت سعاد فما للحزن تمهيل الدمع منسجل والجسم مهزول

0/0/0//0/0/0///0//0/0/ 0/0/0//0/0/0///0//0/0/

مستفعلن فعلن مستفعلن فاعلنْ / مستفعلن فعلن مستفعلن فاعلُن

بانتسعا/دفما/للحزنتم/هيل أذْدَمعمن/سجلن/ولُجسممه/زول

ظمآن والكأس في كفي مترعة لا نهر درعة يرويني ولا النيل

0/0/ 0//0/0/ 0/// 0//0/0/ 0//0/ 0//0/0/ 0///

ظمآنولْ/كأسفي/كفْفَيْمتْ/رعتن لانهردرْ/عتير/وينيولانْ/نيل

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن مستفعلن فعلن مستفعلن فاعلْ

إذ كلما راق لي من صفوه قدح يحول دوني ودون الورد تبسيل

0/0/ 0//0/0/ 0//0/ 0//0/ 0/// 0//0/0/ 0//0/ 0//0/0/

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن متفْعلن فاعلن مستفعلن فاعلْ

إذكلّلَما/راقلي/منصفوه/قدحن يحولدو/نيودو/نلْوردتبْ/سيل

فنجد في البيت الأول التفعيلة لم تأت سليمة، بل أصابتها زحافات هي كالتالي:

- الضرب جاءت مقطوعة، حيث حذف آخر الوتد المجموع من (فاعلن) وتسكين ما قبله، فأصبحت (فاعلْ)..وهذا قد حصل في ضربي البيتين التاليين كذلك.

- حشو البيت(فاعلن) أصابها خبن، حيث حذف الثاني الساكن فأصبحت (فاعلن) (فعلن).. وهذا نجده في صدر البيت الأول وعجزه(الشطر الأول ولثاني)،وفي حشو عجز البيت الثاني.

- العروض (فاعلن) جاءت مقطوعة في البيت الأول(فاعلْ) وبذلك تحقق التصريع في مطلع القصيدة .

و(على النهج) مدائحها النبوية تأسست على تسعة (09) بحور عروضية هي: (البسيط- الخفيف- المتدارك- الوافر- المتقارب- الكامل- الطويل- الرجز- الرمل)... وبالتالي عدد التفاعيل لهذه المدائح النبوي هو 1768، منها السليمة 942، والتي مستها الزحافات والعلل 826 تفعيلة.

ومن خلال هذه المعطيات نطرح السؤال التالي:

- هل مسألة موسيقى القصيدة لها علاقة بالغرض الشعري والموضوع؟

خصوصية الموضوع وهو المديح النبوي وما يتطلبه من عاطفة ووجدان وصدق، وحماس وجهر يتطلب من الشاعر توظيف هذا الإطار الموسيقي لقصائده. ولذا تخير من البحور أطربها، وأكثرها حملا لهذا الموضوع وثقله.

ولا تفوتنا الإشارة إلى أنه جراء تتبعنا لبحور ديوان (على النهج) وجدنا أن الشاعر اسماعيل زويريق استخدم ثلاث مجموعات من بحور الشعر- كما أسلفت سابقا- وهي:

1- مجموعة البحور التي تقوم على 30 مقطعا، ونجد منها في الديوان(الكامل – الوافر).عدد القصائد منها 08، نسبة التواتر 5.89%. عدد الأبيات 381، نسبتها المائوية 6.32%.

2- مجموعة البحور التي تقوم على 28 مقطعا، ونجد منها في الديوان(الطويل- البسيط).عدد قصائدها 17 ، نسبتها المائوية 12.5%. عدد الأبيات 993، نسبتها 16.44%.

3- مجموعة البحور التي لا تتجاوز 24 مقطعا. ونجد منها في الديوان (المتدارك- المتقارب- الرمل ومجزوؤه- الرجز- الخفيف).عدد القصائد 111، نسبة تواترها 81.61%. عدد أبياتها 4665، نسبتها 77.24%.

ب- القافية : القافية من أركان القصيدة العمودية، وقد اعتبرها الخليل بن أحمد الفراهيدي بأنها "***الساكنان الأخيران من البيت وما يتوسطهما***

مع حركة ما قبلهما"[76]...وهي عند عبد الرضا علي ***: " مجموعة أصوات تكون مقطعا واحدا موسيقيا، يرتكز عليه الشاعر في البيت الأول فيكرره في نهايات أبيات القصيدة كلها مهما كان عددها(في القوافي) المفردة، أو يكون المقطع الموسيقي الصوتي مزدوجا في كل بيت بين صدره وعجزه(كما في القوافي المزدوجة)"*** [77].

والقافية في النقد العربي القديم تصنف حسب طبيعة الحروف التي تحيط بالروي إلى:

1- قافية مقيدة: وهي تلك التي يكون فيها حرف الروي ساكنا ،أي قيد عن انطلاق الصوت به كما في قصيدة اسماعيل زويريق (ما نحن إلا عرب)، والتي يقول فيها:

قد عشت في دنيا الريبْ ولم أقم بما وجبْ

قد شغلت قلبيَ عن مناه حرفة الأدبْ

بسبب يقول ما قد قال أو بلا سببْ (ص:328)

2- قافية مطلقة: وهي القافية التي يكون فيه الروي متحركا، أي أطلق الصوت به، كما في قصيدة (بانت سعاد) لنفس الشاعر، والتي يقول فيها:

بانت سعاد فما للحزن تمهيل الدمع منسجل والجسم مهزولُ

ظمآن والكأس في كفي مترعة لا نهر درعة يرويني ولا النيلُ

---

[76] - حركات،(مصطفى)،نظريات الشعر، دار الآفاق، الجزائر،(د.ط)، (د.ت)، ص:13

[77] عبد الرضا،(علي)،موسيقى الشعر العربي قديمه و حديثه ،دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،ط1997،1، ص:168

وقد ضم الديوان(على النهج) بأجزائه الخمسة مجموعة من القصائد جاءت مطلقة أو مقيدة القافية. وتفاوت عددها ونسبتها وعدد أبياتها.

ونجد أن الجزء الخامس قد تخللته 11 قصيدة من بحر الرجز ومتنوعة القافية والروي. وهذه القصائد هي التي تكون القسم المعنون ب (***روضة النسرين في سيرة المرسلين***) وهي:(نفحات من سيرة المبشرين - أبو بكر الصديق- الفاروق عمر بن الخطاب- عثمان بن عفان- علي بن أبي طالب- عبد الرحمن بن عوف- سعد بن أبي وقاص- الزبير بن العوام- طلحة بن عبيد الله- أبو عبيدة بن الجراح- سعيد بن زيد)... ومجموع أبياتها هو 321 بيتا، منها 277 بيت جاءت فيها القافية مطلقة، وحققت بذلك نسبة 86.29%،و44 بيتا مقيدا ، محققا نسبة 13.70%.

كما أن القصائد المطلقة بلغت 124 قصيدة بالديوان (على النهج)، وقد بلغت نسبة تواترها 91.17%. .وبلغ عدد أبياتها 5354 بيتا، محققا نسبة 88.65 %.. وهذا يعطي الانطباع بأن نسبة اتجاه الشاعر اسماعيل زويريق إلى المطلق من القوافي مرتفعة.. لكن 685 بيت ونسبة 11.35% ليست بالأمر الهين، ولا بالرقم الذي تغمض عنه العين. فهو رقم يبين أن الشاعر اسماعيل زويريق يتجاذبه إلى جانب الاتجاه المطلق الميل أيضا إلى المقيد، والمرتبط بظروف خلق القصيدة عنده.

والقافية في ديوان(على النهج) متنوعة المجرى. وهي الحركة التي ترتبط بها القافية. ومن ثمة نجد في شعر اسماعيل زويريق أربعة أنواع من المجرى:

1- مجرى الكسرة. وهي المتعلقة بالقافية المكسورة (الروي المكسور).. عدد القصائد على هذا المجرى 31 قصيدة، وعدد أبياتها 1509 بيت. كما في قصيدته (البردة: يا شاكي البان)،والتي يقول فيها:

يا شاكي البان كم في البين من سقم؟/ شكواك تنساب لحنا دافق الألم

ردد على سعفان النخل فالتة تفترُّ عما رمى بالقلب في شجم

2- مجرى الضمة. عدد قصائدها 37، وعدد أبياتها 2885. كما في قصيدته (الهمزية: القسم الثالث)، والتي يقول فيها:

لجناحيك هذه الأمداءُ أيها الساري في ذراها وظَّاءُ

قد تدانت لك الأقاصي دلولا وتحامتك فودها الشّمّاءُ

3- مجرى الفتحة. فمجموع القصائد المدحية بهذا المجرى 18قصيدة، عدد أبياتها 571 بيتا. كما في قصيدته (رفقا حمام المنحنى)، والتي يقول فيها:

رفقا حمام المنحنى فالنفس تشجيها المنى

نفسي وما نفسي ترى إلا بحضرته الهنا

4- القصائد المجردة من المجرى. وهي القصائد ذات الروي الساكن. أي جاءت مقيدة القافية، كما في قصيدته (ما نحن إلا عرب)، والتي يقول فيها:

قد عشت في دنيا الريبْ ولم أقم بما وجبْ

قد شغلت قلبيَ عن مناه حرفة الأدبْ

وما نستنتجه من خلال المدائح النبوية لشاعر النخيل إسماعيل زويريق، أن أكثرية قصائده في (على النهج) كانت مطلقة القافية.. ومرد ذلك يرجع إلى وعي الشاعر بأن القافية المطلقة تؤدي وظائف أسلوبية تخدم غرضه الشعري، ألا وهو المديح النبوي، والتعبير عن شوقه وحنينه ولهفته لزيارة البيت العتيق والأماكن المقدسة. كما أن غلبة القافية

المطلقة في شعره تعمل على " **لفت الاهتمام بإطالة حركة الروي، فتجعل الكلمة منبورة من *جانب، وتقف عليها من جانب آخر، فيؤدي الوقف دلالة خاصة في تعلق السمع في الإنشاد بكلمة القافية*** " [78]..

ج- الروي: هو حرف من حروف القافية.." ***فلا يكون الشعر مقفى إلا بأن يشتمل على ذلك الصوت المكرر في أواخر الأبيات***"[79]...وهو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة، وتنسب إليه[80]..

والروي ينشر ظلاله على القصيدة، ويعطيها جماليتها الصوتية.. وهو الحرف الأهم الذي يتحكم في عملية الإطلاق والتقييد، لأنه " ***الحرف الذي تبنى عليه القصيدة، وتنسب إليه، فيقال قصيدة رائية أو دالية، ويلزم في آخر كل بيت منها، ولا بد لكل شعر أقل أو أكثر من الروي***"[81]..

وللروي ثلاث منازل[82]:

1- أن يكون آخر حرف في البيت و ذلك في الشعر المقيد، كما في قصيدة اسماعيل زويريق(همى الغيث)، والتي يقول فيها:

همى الغيث يحيي موات الجذورْ فعاد إلى الروض بعض الحبورْ

وأسرت بطير السلام الضياء تجوب عوالمه في سرورْ

تغني الجمال برحب البهاء تساقي كؤوس الصفاء الشعورْ

---

[78] - السعران/(محمود)،البنية الإيقاعية في شعر شوقي،ص:150

[79] - أنيس،(ابراهيم)،موسيقى الشعر العربي، مكتبة الأنجلو مصرية،مصر،ط2 ،1952، ص:18

[80]- المرجع نفسه، ص:200

[81] - المرجع نفسه، ص:200

[82] - لكرد،(عبد الفتاح)، الأجوبة الشافية في علمي العروض والقافية، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب،(د.ط)،2006، ص:190

2- أن يكون بين الروي وانقضاء البيت حرف واحد، وهو الوصل لا غير. وهذا الوصل يكون بأحد أحرف المد الثلاثة (ا- و- ي)،أو هاء السكت (الساكنة)،كما في قصيدة اسماعيل زويريق(الدالية في الرد على من أساء إلى الرسول برسوماته الكاريكاتورية)، والتي يقول فيها:

ألم يهج الذي رسموا الفؤادا فما للصمت يلزمك الحيادا

لعل الصمت ناب عن الكلام الذي لم يشف من نفسي جوادا

أو قوله كذلك في قصيدته (لحظات في مقام النجوى):

أيها الإنسان يا من حار في معناه عقلي

وكما حرت أنا حار الذي قد كان قلبي

وقوله كذلك في (ذكراني):

ألا ذكراني بالذي أنا جاهلهْ فقد ضقت ذرعا بالذي أنا حاملهْ

أسائل هذا الدهر لا أنا محجم ولا هو أعطاني الذي أنا سائلهْ

فاللام روي والهاء وصل...

3- أن يكون بين الروي وانقضاء البيت حرفان(الوصل والخروج). ويكون ذلك بتحريك هاء الوصل كما في قصيدة (غزلت فيك)،والتي يقول فيها الشاعر زويريق:

غَزَّلْت فيك من الأشعار أجملها فليس يضجرني كسّرت مغزلها

والله لست تراني اليوم معتزلا إذ كيف تعتزل الأطيار مقولها

وإذا عدنا إلى ديوان(على النهج) بأجزائه الخمسة، نجد أن الروي جاء في قصائد مديحه النبوي متنوعا..ولاستكناه طبيعة الروي في قصائد

اسماعيل زويريق، نأخذ الجدول التالي الذي يعكس إحصاءات ومعطيات هامة..

الجدول رقم: 12 جدول الروي الموظف في (على النهج)

الصوت	صفته	مخرجه	عدد وروده في القصائد	نسبة التواتر	عدد الأبيات	نسبة التواتر
المد(الألف)	مجهور	هوائي	17	17.17%	563	10.23%
اللام	مجهور	لثوي	06	6.06%	249	4.52%
الراء	مجهور	لثوي	07	7.07%	213	3.87%
الياء	مجهور	شجري	01	1.01%	40	0.72%
الميم	مجهور	شفوي	05	5.05%	489	8.88%
النون	مجهور	لثوي	08	8.08%	333	6.05%
التاء	مهموس	لثوي	21	21.21%	21	0.38%
الباء	مجهور	شفوي	09	9.09%	353	6.41%
العين	مجهور	حلقي	03	3.03%	118	2.14%
الهمزة	مجهور	حنجري	10	10.10%	2590	47.08%
الهاء	مهموس	حنجري	02	2.02%	47	0.85%
الدال	مجهور	لثوي أسناني	01	1.01%	69	1.25%
الفاء	مهموس	شفوي	01	1.01%	31	0.56%
الكاف	مهموس	لهوي	01	1.01%	26	0.47%
الحاء	مهموس	حلقي	02	2.02%	57	1.03%
السين	مهموس	لثوي	01	1.01%	125	2.27%
الجيم	مجهور	شجري	01	1.01%	59	1.07%
القاف	مجهور	لثوي أسناني	03	3.03%	118	2.14%

إن الأصوات التي نالت حظا كبيرا في ديوان (على النهج) من حيث مجيئها رويا، نجدها جميعا أصواتا مجهورة(الألف- اللام- الراء- الياء- الميم- النون- الباء- العين- الهمزة- الدال- الجيم- القاف)..حيث بلغ مجموع أبياتها 5194 بيت شعري.. وهي بصفتها الجهورية تساعد على رفع الصوت. ومن ثمة تساعده على التخفيف من توتره، وعلى عملية التفريغ النفسي الذي يتطلبه هذا العلو في كثير من الأحيان، والحماس الذي يشعر به وهو يفكر في زيارة مكة والمدينة المنورة والأماكن المقدسة الأخرى. وتساعده كذلك على التخفيف من حالة الغليان والهيجان اللذان ينتابانه عند شعوره بالحنين والشوق والتشوق لرؤية هذه الأماكن المقدسة.

والأصوات التي تميزت في هذا الديوان (على النهج)، والتي تلتقي أيضا في صفة واحدة، هي (الراء- اللام- الباء- الميم) ، مجموع أبياتها 1304 بيت شعري.. وهذه الصفة الموحدة بينهم والمشتركة هي صفة الذلاقة. بينما الحروف (اللام- الباء- الميم) مجموع أبياتها 1091 بيت شعري، فهي من الأصوات الغنية بالتجلي من الناحية السماعية، وهي أيضا انفجارية تمتاز بالشدة التي تناسب نفسية الشاعر، وحالته المزاجية عند مخاضه الشعري.

ومن خلال الجدول- أيضا- نلاحظ غياب أصوات لم ينظم عليها اسماعيل زويريق ولو بيتا واحدا، وهي(الغين- الخاء- الشين- الصاد- الضاد- الظاء- الطاء)..

وإذا ما بحثنا عن سر استعمال اسماعيل زويريق لهذه الحروف (ل- م - ن- ر) وشيوعها، فإن الدكتور ابراهيم أنيس قد لفت نظره أن هذه الحروف أكثر الأصوات الساكنة وضوحا وأقربها إلى طبيعة الحركات، حين قال:" ***..لذا يميل بعضهم إلى تسميتها أشباه أصوات اللين(= حركات)..ومن الممكن أن تعد حلقة وسطى بين الأصوات***

الساكنة وأصوات اللين. ففيها من صفات الأولى أن مجرى النفس معها تعترضه بعض الحوائل، وفيها –أيضا- من صفات أصوات اللين، أنها يكاد يسمع لها أي نوع من الحفيف، وأنها أكثر وضوحا في السمع" [83].

كما نستنتج –أيضا- أن الروي في شعر المديح النبوي عند اسماعيل زويريق يتميز بثلاث نزعات، وهي:

- خروجه من أدنى الجهاز الصوتي.

- تخيره من الحروف الشائعة في آخر الكلمة العربية.

- اتصافه بالوضوح السمعي.

كما نجد توظيفا لصوت الألف (المد)..وهذا الصوت يتواجد في نسق جمالي، لا يمكن أن يتجلى كتابة، بل يظهر على صعيد الإنشاد. فالمدائح النبوية للشاعر اسماعيل زويريق كلها نشأت في رحم الشعرية الشفوية. شعرية تتناغم مع الطابع الغنائي، والتي ارتبطت بالحداء. والطبع الصافي من مشوبات الحضارة التي من شأنها أن تشتت ذهنية المبدع. ولهذا يغدو صوت المد(الألف) قناة للإطلاق، إطلاق الحر والآه.. تعبيرا عن الشوق والتشوق والحنين.

كما تتم عن الحرقة في الذود عن رسول الله، والرد على كل من يسيء إليه، وأن من الجهاد وشرفه الدفاع عن الحق والدفاع عن رسول الله والرد على كل مسيء للإسلام والمسيئين أو الشاتمين للصحابة الكرام أو المس بالقرآن الكريم.. وأن الصمت عن كل هذا هو ذل وصغار:

وربك لا ألوذ إليه إني رأيت الذود عن حق جهارا

---

[83] - ابراهيم أنيس، لأصوات اللغوية،ص:27

فدتك النفس إن الصمت ذل إذا انتقدت عقيدتي انتقادا

عدمت الشعر مكرمة إذا لم يبلغني على وفز مرادا

يعز علي أن ألقى نزورا ومثلي لا يصد ولا يعادى

فما يشفي غليلي عذر ساد يرى في كل معتقد فسادا

كما تكون تعبيرا عن الشوق والاشتياق واللوعة الناتجة عن الرغبة في زيارة مكة والمدينة المنورة، وقبر النبي الكريم صلى الله عليه وسلم:

فاه الفؤاد بم أسر على اليراع وأعلنا

في القبة الخضراء ما ينسي فؤادي الموطنا

فيها حبيب ومن تكن أنت الحبيب له اغتنى

هيض الجناح فما لهذا المكتوي أن يسكنا

بيني وبينك ألف مو ماة تفرّق بيننا

الشوق يسهرني وهذا البعد يوقد ما بنا

لو كان يسعفني الفضا ء لزرت قبته ثنا

من لي بأجنحة لتحملني إليك بلا عنا

فحرف المد في حادثة التشوق، والحنين والشعور ببعد المسافة الزمنية والمكانية بين الشعور بالشوق والرغبة في الزيارة للأماكن المقدسة، وواقع البعد والعجز عن إزالة هذا الشوق، وتحقيق هذه الرغبة.. من ثمة تكتمل صورة الحسرة والبعد والتحرق.. بليونة الألف وميولها للإمالة بعض الشيء، والتي فرضتها عاطفة الحنين والتشوق..

كما أن فخامة الألف في مقام المدح ليست هي نفسها في حالة الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستحضار الشوق للمقام المحمدي.

- الإيقاع الداخلي:

يعتبر شاعر الحمراء والنخيل اسماعيل زويريق أن الشعر "***تصوير للمعنى ،يقوم على صياغة لفظية في إطار قوالب إيقاعية***"[84]..

وإنشاد الشعر يصبح وسيلة في إلقاء الشعر، له مرجعيته القديمة. وهي ثقافة المشافهة التي تبناها المجتمع العربي القديم " ***والنشيد جسد مفاصله الإيقاع والنغم، وعلى إحكامه الفني تتوقف استجابة السمع. فالنشيد فن في الصوت يفترض فنا يقابله فن الإصغاء. وقد تم هذا الإحكام بالتوصل شيئا فشيئا إلى بنى إيقاعية خاصة***" [85].. وما يمكن أن نلحظه في مديح اسماعيل زويريق النبوي هو تناسب مقاطعه على المستوى النحوي والصرفي والصوتي...

1- على المستوى النحوي:

يقول اسماعيل زويريق في قصيدته (إشراقات):

بين نفسي وبين ذاتي صراع بين عقلي وبين قلبي جفاء

بين غيثي وبين موتي اختلاف بين جهلي وبين علمي عداء

ففي هذين البيتين نجد تناسبا وتوازيا نحويا يتمثل على الشكل التالي:

---

[84] بن خليفة، (مشري)، الشعرية العربية مرجعياتها وإبدالاتها النصية، دار الأبحاث، الجزائر، (د.ت)،2006 ، ص: 39

[85] - أدونيس، الشعرية العربية، دار لآداب،ط2، 1985،ص:5

بين	نفســـ	ـــي	و	بين	ذاتـــ	ـــــي	صراع
بين	عقلـــ	ـــــي	و	بين	قلبـــ	ـــــي	جفاء
بين	عيشـــ	ـــــ ي	و	ين	موتـــ -	ـــــ ي	اختلا ف
ين	جهلـــ -	ـــــي	و	بين	علمـــ	ـــــي	عداء
ظر ف مكان	مضاف إليه	ياء المتكلم مضاف إليه	رابط(حر ف عطف)	ظر ف مكان	مضاف إليه	ياء المتكلم مضاف إليه	مبتدأ
شبه الجملة من الظرف وما بعده خبر مقدم			العطف	معطوفة على شبه الجملة لها نفس الحكم النحوي والإعرابي			مبتدأ مؤخر

وكذلك في قوله من نفس القصيدة:

أنت للخلق ملهم وسراج أنت للناس نغمة نعماء

أنت للغاوي منقذ وبشير أنت للساري واحة خضراء

أنت للكون مشعل ومنار أنت للأرض هيدب ورواء

في هذه الأبيات نجد أيضا توازيا نحويا كالتالي:

أنت	للخلق	ملهم	و		أنت	للناس	نعمة		نعماء
أنت	للغاوي	منقذ	و		أنت	للساري	واحة		خضراء
أنت	للكون	مشعل	و		أنت	للأرض	هيدب	و	رواء

ضمير منفصل	جار ومجرور	اسم	رابط		ضمير منفصل	جار ومجرور	اسم	رابط	
مبتدأ	شبه الجملة مفعول به لاسم الفاعل(ملهم)	خبر	حرف عطف		معطوف(مبتدأ)	شبه جملة لا محل من الإعراب	خبر	حرف عطف	معطوف على (هيبب) خبر

نستنتج مما سبق أن الأبيات شكلت تشاكلا إيقاعيا جميلا، إذ إن مقاطع الأشطر الأولى يقابلها نفس العدد من المقاطع في الأشطر الثانية ،وهكذا. لتتقابل الأبيات على الوتيرة الآتية:

بين نفسي وبين ذاتي صراع ← بين عقلي وبين قلبي جفاء

بين غيثي وبين موتي اختلاف ← بين جهلي وبين علمي عداء

وهذا التشاكل الإيقاعي يمكن أن يتقابل مع التشاكل التركيبي لبنية البيتين، وذلك وفق التالي:

بين نفسي وبين ذاتي صراع ← بين جهلي وبين علمي عداء

بين غيثي وبين موتي اختلاف ← بين عقلي وبين قلبي جفاء

أنت للخلق ملهم وسراج ← أنت للساري واحة خضراء

أنت للنفس جُنة و وقاء

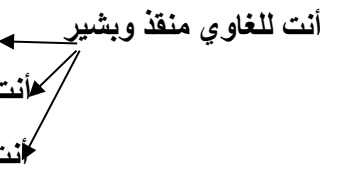

وكذلك نفس الشيء مع باقي الأشطر، فلا يختل المعنى ويبقى الترابط قائما والمعنى واضحا..

ـ البنية الصرفية:

نجد أيضا تشاكلا وتوازيا فيما يخص البنية الصرفية، كالتالي:

بين	نفســـ	ـــي	و	بين	ذاتـــ	ـــــي	صراع
بين	عقلـــ	ـــــي	و	بين	قلبـــ	ـــــي	جفاء
بين	عيشـــ	ـــــي	و	ين	موتـــ	ـــــي	اختلاف
ين	جهلـــ	ـــــي	و	بين	علمـــ	ـــــي	عداء
ظرف	اسم	ضمير متصل	حرف	ظرف	اسم	ضمير متصل	اسم
ظرف مكان	وزن فَعْل	ياء المتكلم	حرف عطف يحقق الوصل	ظرف مكان	فَعْل	ياء المتكلم	فَعال- فِعال- افتعال (مصدر)

هناك تشاكل إيقاعي على لمستوى الصرفي كما نلاحظ من خلال الجدول.

- على المستوى الصرفي:

ويتجلى ذلك كما يلي:

البيت الأول: الشطر الأول

بين نفسي وبين ذاتي صراع										
بَيْـ	نَ	نَفْـ	ـسِي	وَ	بَيْـ	نَ	ذَا	تِي	صِـ	رَا	عُ
ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص
ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح
ص		ص	ح		ص		ح	ح		ح	
مقطع مغلق	مقطع قصير	مقطع مفتوح ممدود مغلق	مقطع مفتوح	مقطع قصير	مقطع مغلق	مقطع قصير	مقطع مفتوح	مقطع مفتوح	مقطع قصير	مقطع مفتوح	مقطع قصير

الشطر الثاني

بين عقلي وبين قلبي جفاء										
بَيْـ	نَ	عَقْـ	ـلِي	وَ	بَيْـ	نَ	قَلْـ	ـبِي	جَ	فَا	ءُ
ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص
ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح
ص		ص	ح		ص		ص	ص		ح	

مقطع مغلق	مقطع قصير	مقطع مغلق	مقطع مفتوح	مقطع قصير	مقطع مغلق	مقطع قصير	مقطع مغلق	مقطع قصير	مقطع مفتوح	مقطع مغلق	مقطع قصير	مقطع مغلق

البيت الثاني: الشطر الأول

بيت غيثي وبين موتي اختلاف												
بَيْـ	نَ	غَيْـ-	ـثِي	وَ	بَيْـ-	نَ	مَوْ	تِي	اخْ	تِ	لاَ	فُ
ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص
ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح
ص		ص	ح		ص		ص	ح	ص		ح	
مقطع مغلق	مقطع قصير	مقطع مغلق	مقطع مفتوح	مقطع قصير	مقطع مغلق	مقطع قصير	مقطع مغلق	مقطع مفتوح	مقطع مغلق	مقطع قصير	مقطع مفتوح	مقطع قصير

الشطر الثاني

بين جهلي وبين علمي عداء												
بَيْـ	نَ	جَهْـ-	ـلِي	وَ	بَيْـ	نَ	عِلْـ-	ـمِي	عَ	دَا	ءُ	
ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	
ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	
ص		ص	ح		ص		ص	ح		ح		
مقطع مغلق	مقطع قصير	مقطع مغلق	مقطع مفتوح	مقطع قصير	كقطع مغلق	مقطع قصير	مقطع مغلق	مقطع مفتوح	مقطع قصير	مقطع مفتوح	مقطع قصير	

يوجد في قصائد (على النهج) لاسماعيل زويريق قدر كاف من هذه الظاهرة، ومن تجلياتها قوله في قصيدة (البردة: يا شاكي البان):

غيداء، فارعة، ملداء، ناعمة * كأنها ملك يمشي على قدم

وهذا البيت الشعري يتضمن مجموعة من التوازنات الصوتية والصرفية والوزنية، والتي يخلقها التقابل اللفظي:(غيداء وملداء) واللفظتان (فارعة وناعمة).

فعلى المستوى الصرفي، الكلمتان (ملداء - غيداء) تشتركان معا في الصيغة الصرفية: فعلاء. واللفظتان (ناعمة - فارعة) تشتركان أيضا في الصيغة الصرفية :فاعلة. أما على المستوى الصوتي، فهناك تجانس صوتي قد تحقق من خلاله المماثلة والمضارعة، والمتمثلة في (غيداء وملداء /فارغة وناعمة).. واشتراكهما في مجموعة من الصفات.. فغيداء وملداء يشتركان في ثلاثة أصوات هي (الدال والألف، والهمزة)، كما أن هذه الأصوات لها نفس الترتيب في الكلمتين معا، وهو نوع من التماثل الشبه التام.

أما الكلمتان التاليتان(فارعة- ناعمة) فتشتركان في ثلاثة أصوات (الألف والعين، والتاء)..و الملاحظ أن هذه الأصوات يختل فيها الترتيب، مما يحقق نوعا من المضارعة...

وإلى جانب هذا، نجد توازنا آخر، وهو اتساق الترصيع والوزن، ونمثل لهما بما يلي:

غيداء ملداء ناعمة فارعة

0///0/ 0///0/ 0/0/0/ /0/0/

مستفعلن فعْلن متْفعلن متْفعلن

وبهذا التوازن- كما يقول الدكتور محمد عدناني- تحقق الكثافة على ثلاثة مستويات: الترصيع و التجنيس، و اتساق الترصيع والوزن[86]. وهذه الكلمات تتماثل، وتتجانس في المعنى، إذ تكاد تقترب (غيداء من ملداء)و(فارعة من ناعمة)..فهي قد اجتمعت فيها جميع صفات الحسن حتى أصبحت تبدو كملاك يمشي على قدميه... كما نجد التوازي يشمل الكثير من الأبيات في قصائد(على النهج)،كما في قوله:

تارة أنت جهول تارة أنت عليم

تارة أنت مريض تارة أنت سقيم

تارة أنت أنيس تارة أنت غريم

تارة أنت غرير تارة أنت زعيم

تارة أنت حقود تارة أنت حميم

وهذا المقطع الشعري نقسمه حسب التوازي على الشكل التالي:

تارة	**أنت**	**جهول**	**تارة**	**أنت**	**عليم**
تارة	**أنت**	**مري**	**تارة**	**أنت**	**سقيم**
تارة	**أنت**	**أنيس**	**تارة**	**أنت**	**غري**
تكرار	**تكرار**	**مضارعة**	**تكرار**	**تكرار**	**مماثلة**

وقوله كذلك:

[86] - عدناني،(محمد)،تكامل القصيد والخبر، جذور للنشر، الرباط، الطبعة الأولى ، 2006،ص:59

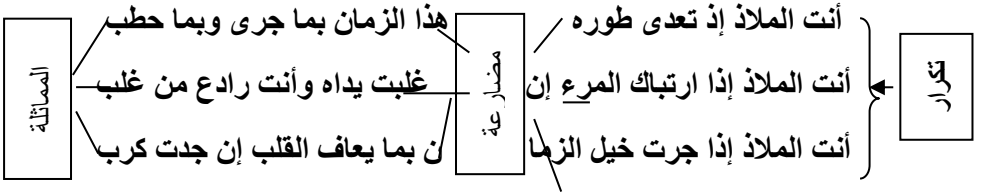

ففي المقطع الشعري الأول نجد التوازي يمتد إلى الأبيات الثانية أما في المقطع الثاني فلا يمتد إلى الشطر الثاني. وكلمات مثل(جهول- مريض- أنيس- غرير- حقود- عليم- سقيم- غريم- زعيم- حميم)تحقق ترصيعا صرفيا تاما لاشتراكها كلها في صيغة صرفية واحدة هي(فعول)..

كما نجد التوازن في شعر اسماعيل زويريق يأخذ شكله البسيط، أي التوازنات المفردة. كما في قوله من قصيدته (أبو بكر الصديق).

لسبقه وسنه وفضله * وصدقه وحزمه وعدله

فالكلمات(سَبقِه- فَضلِه- حزمه- عدله) حققت توازنا صرفيا إذ جاءت على صيغة(فعل= فَعْلِهِ)..والكلمتان (سِنِّه- صِدْقه) حققتا توازنا أيضا صرفيا، حيث جاءتا على صيغة (فِعْل= فِعْلِهِ)..كم حققت الكلمات توازنا وزنيا وصوتيا:

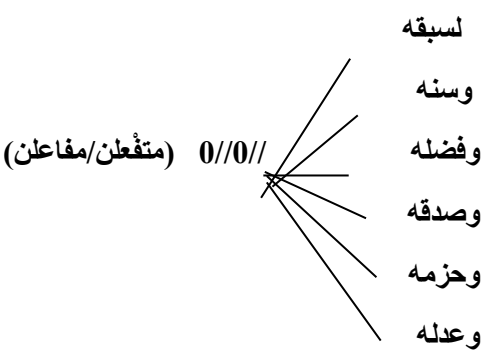

ـ التوازنات الصوتية(التوازي)

التوازنات الصوتية كل ما له علاقة بمستوى البديع، ويعمل على توازن الأصوات اللغوية في الجملة النحوية، أو في البيت الشعري بنوعيه التقليدي والحر.

والتوازي " ***لا يقتصر على التشابه في صيغة التراكيب وترتيب الأجزاء، بل يعيد النسق بخروجه، وأحيانا يتحول إلى التوازن حيث يضيف إلى ترتيب الأجزاء، ووحدة الصيغة، ووحدة الوزن. ومع ذلك تبقى جسور متصلة بين الأنواع جميعا*** "[87]. والتوازي هو نتيجة التشابه في التركيب والترتيب، ووحدة الوزن. وهو أنه عبارة عن تكرار بنيوي في بيت شعري أو في مجموعة أبيات شعرية..

وفي ديوان (على النهج) لاسماعيل زويريق نجد توظيفا لهذا التوازي، والذي أعطى لمديحه النبوي إيقاعية وجمالية وفنية... ومن أنواع التوازي الذي نجده في مديحه النبوي:

---

[87] ـ الهادي الطرابلسي، المرجع نفسه، ص:72

1- التوازي المقطعي(العمودي): وهو التزام نفس التركيب في كثير من الأبيات، كما في قوله:

كم بيننا من مربع ومقطن كم بيننا من مجهل مختنق

كم بيننا من منزل وشارع وبيته ليس بعيد الحلق

وقوله أيضا في قصيدة (ما نحن إلا عرب):

كم ملكوا من فضة كم خزنوا من الذهب

فكم بنوا من نشب وعمروا من الخرب

و قوله أيضا: **تارة أنت جهول تارة أنت عليم** تارة أنت مريض تارة أنت سقيم**

تارة أنت أنيس تارة أنت غريم تارة أنت غرير تارة أنت زعيم**

تارة أنت حقود تارة أنت حميم

وقد أدى هذا التقطيع أو التوازي العمودي دورا مهما، وهو خلق موسيقى وإيقاع يمثل بالنسبة للشاعر وقفة تأمل واستراحة لاستعادة النفس والنشاط قبل مواصلة القصيدة . كما خلق جوا تنبيهيا، وتحذيريا أيضا من خلاله ينبه المتلقي/الإنسان إلى حالاته، وميولاته ونوازعه وتغيراتها...

2- التركيب المتكرر في بيت لقصيدة: وهو التزام يوجبه الشاعر على نفس التركيب بين أعجاز القصيدة أو صدورها.. وهذا نجده في مدائح اسماعيل زويريق النبوية، كما في قوله من قصيدته (رأيتك في القلب نورا):

وفي الطير حين شدا وفي/ النجم /حين /انسرى

وفي النبع وقت الجفاف وفي /السيل/ حين/ اندرى

وقوله في قصيدة(هسهس الليل):

وجرى الدمع لم ينحسر عوزا كيف / يرتاح /من/ دمعه/ غدق

ما بكى إذ بكى طرفه سجما كيف /يسكت/ من/ بات يحـ/ـترق

وقوله في قصيدة (ذكرى المولد الشريف):

وقلبك لا يحركه سوى/ من/ كان /يظلمه

سلاما ما كان منه وما سلا/ما/ كان/ يسقمه

أو: **(وقلبك لا يحركه سوى من/ كان /يظلمه**

3- التقطيع الثنائي (الموازنة): هذا الأسلوب من التقطيع يتمثل في إقامة الشطرين من البيت الشعري على مفردات يناسب تقطيع كل منها في الشطر الأول تقطيع نظيره في الشطر الثاني مناسبة تامة، أو تنزع أن تكون تامة[88].. ونجد منها في مديح اسماعيل زويريق النبوي:

أ- المقابلة: أو التقابل. هو التعارض الدلالي بعضه عن بعض. وقد سمي تخالفا أيضا[89]. وهو طريقة وأسلوب في بناء القصيدة. وهذا التقابل يبين مدى تجربة الشاعر، ويتجسد في شعره ما بين ما تصبو إليه الذات، وإدراك المبتغى إلى ما تلقاه من شوق، وحزن وشكوى وحنين. .أي إنه تقابل وتخالف يحقق التقابل الضمني.

---

[88] - الهادي الطرابلسي، المرجع نفسه، ص:77

[89] - د. الروبي،(كمال ألفت)، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، دار التنوير، بيروت، لبنان، ط1983،1،ص:172

وعندما نعود إلى مديح اسماعيل زويريق النبوي، نجد تقابلات كثيرة كما في قوله من قصيدة(خبرتك):

فما/ إسراره/ سر ولا /إجهاره /جهر

فنجد مقابلة وتضادا ما بين الكلمتين التاليتين (إسرار≠ إجهار- سر≠ جهر)...

وقوله من نفس القصيدة:

ولا /حزن/ ولا/ فرح ولا /شر/ ولا /خبر

ولا /حب /ولا /بغض ولا /بوح /ولا/ ستر

ولا/ سلم/ ولا/ حرب ولا /برء/ ولا/ ضر

ب- الازدواج: وهو موازنة بين تركيبين وتقارب بين معنييهما، كما في قوله من قصيدته(ما نحن إلا عرب):

في فرح /في ترح في حنق / أو في غضب

فكم بكى /وكم شكا وكم روى/ كم كتب

فالفرح يتقابل مع الترح ويتلازمان في الحياة عامة.. وهما تركيبة الحياة نفسها.. كما أن الحنق والغضب يؤديان نفس المعنى ما داما معا حالة نفسية تلزم النفس الإنسانية.. والبكاء تمزجه الشكوى أحيانا كثيرة...والشكوى يتبعها البكاء في كثير من المرات.. كما أن الرواية والكتابة فعلان لنقل الخبر الإعلان.. الأولى تعتمد على الأثر الشفاهي والثانية تعتمد على الأثر الخطي..

ويقول- أيضا- في قصيدته(رأيتك في القلب نورا):

رأيتك/ فيما / يرى وفي كل /ما لا/ يرى

رأيتك /في كل/ شيء تضم/ رحاب/ الثرى

وما /تحت/ هذا/ التراب وما/ فوق/ تلك/ الذرى

وفي/ كل/ شيء/ يقيم وفي/ كل/ شيء/ جرى

وفي/ الليل/ حين/ دجا وفي/ الصبح/ إن /أسفرا

4- التقطيع الأفقي الرباعي: وقد يكون التقطيع رباعيا ،وذلك عندما يكون البيت الشعري يتكون من أربع وحدات صوتية صغرى.. كل واحدة منها قائمة على نفس تقطيع الموالية أو قائمة على تقطيع الوحدة الأولى فيه موافقة الأولى فيه موافقة الثالثة والثانية موافقة الرابعة، كما في قول اسماعيل زويريق من قصيدته(لحظات في مقام النجوى)،ص:280:

وصل العقل إلى أن لهذا الكون ربا

ها هنا /تبصر/ جدبا/ ها هنا /تبصر/ خصبا

ها هنا/ تبصر/ يبسا /ها هنا/ تبصر/ رطبا

ها هنا /الماء /أجاج /ها هنا/ يظهر/ عذبا

ها هنا/ تبصر/أمنا /ها هنا /تبصر /حربا

5- التقطيع السداسي: يقوم فيه البيت على ست وحدات صوتية كما نجد عند اسماعيل زويريق في قوله من قصيدته(ما الذي يغري في الزمان):

ما الذي/ يغري/ في الزمان/ أيا نفس/ إذا ما تخوَّن/ الأمناء

ما الذي/ يغري/ في الزمان/ أيا نفس/ إذا ما تفرعن/ العلماء

ما الذي/ يغري/ في زمان/ أيا نفس/ إذا تجبَّر /الضعفاء

ما الذي/ يغري /في الزمان/ أيا نفس/ إذا ما تسلَّق/ الجهلاء

ويمكن لهذا المقطع الشعري أن يكون فيه التقطيع سباعيا (**ما الذي/ يغري/ في الزمان/ أيا نفس/ إذا ما/ تفرعن/ العلماء**) وأكثر..

6- ***التصدير:*** التصدير مظهر من مظهر موسيقى الحشو في الشعر، ويتمثل في إيراد اللفظ المتخير خاتمة وإطارا لعناصر قافيته مرة أولى في صلب البيت، قبل استعماله مرة ثانية في آخره.

ونجد في ديوان(على النهج) أربعة أشكال التصدير بالجناس، وهي كالتالي:

1- ما كان اللفظ المجانس الأول منه يختم الصدر. كما في قول اسماعيل زويريق من قصيدته (بانت سعاد):

بانت سعاد فما للحزن تمهيل * الدمع منسجل والجسم مهزول

وجاءت 58 قصيدة معتمدة التصدير في مطلعها، محققة نسبة 42.64%..وقد جاء التصدير فيها على هذه الصورة(

((A) ..... * (A) .....

2- ما كان اللفظ المجانس الأول منه في أول الصدر.. كما في قصيدته (البقيع)،والتي يقول فيها:

فناء البقيع ما مثلكم * تحت الثرى أو بين الورى نظراء

وهذا التصدير جاء على هذه الصورة:(**(A) ..... * ..... (A)**

3- ما كان اللفظ المجانس الأول من البيت في أول العجز .وصورته:**A.....A * .....**

وهذا نجده في قصيدته (عمر وأموال الدولة)، والتي يقول فيها:

نهبوا أموال الخزائن نهبا * وأفاءوا عليهم ما أفاءوا

4- ما كان اللفظ المجانس الأول من البيت إلى غير منزلة معينة .كما في قصيدة (الهمزية: القسم الثاني):

ففناءُ الفناء فيه بقاءُ * وبقاءُ البقاء فيه فناءُ

وهذا التصدير جاء على هذه الصورة: **.A)...(A) (A) (A) ..... (A)**

5- ما كان اللفظ المجانس في أول الصدر، وثانيه في بداية العجز. كما في قوله:

يسري بسروحي مثلما * تسري الضياء بنجمنا

وهذا التصدير جاء على هذه الصورة: (A) ..... * (A) .....

- التقسيم: يعرف التقسيم بأنه:"***استيفاء المتكلم أقسام الشيء، بحيث لا يغادر شيئا. وهو آلة الحصر ومظنة الإحاطة بالشيء***"[90]...ومكانته ضمن الفن القولي لا تحصى .."***فله موقع في الفصاحة لا يمكن جحده ولا يسع إنكاره***"[91].. وقد سماه الزمخشري: التفصيل. وهو أسلوب بلاغي دقيق ومعقد.

[90] - الزركشي،البرهان،481/3

[91] - العلوي، الطراز، 144/3

ويرى الخطيب القزويني بأن التقسيم يطلق على استيفاء أقسام الشيء بالذكر[92].. كما في قصيدة (رفقا حمام المنحنى)[93]. لاسماعيل زويريق:

فيه المناهرة ثرة * فيه الشفاء من الضنى

فيه الضياء عميمة * فيه السمو عن الهُنا

فيه الوجود وما به * فيه السعادة والهنا

فيه السمو إلى العلا * فيه الرفاهة والغنى

وقوله أيضا في قصيدته(رباعيات)،ص:214:

كيف لا أشكو إلى أعظم خلق الله بثي

هو في الوحدة خلي/ هو في المحنة غوثي

هو في الغمة عوني/ هو في الحرة غيثي

هو من يشفع لي /عند نشوري عند بعثي

والتقسيم ثلاثة أنواع:

أ- التقسيم بالعدد: كما في قوله تعالى:" ***وكنتم أزواجا ثلاثة: فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة، والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم***" [94]...

[92] - الخطيب القزويني، الإيضاح،ج2،ص:510

[93] - زويريق،(اسماعيل)،على النهج، المتن-1،المطبعة والوراقة الوطنية، الداوديات، مراكش، الطبعة 1،2015،ص:209

[94] سورة الواقعة، 7-8-9-10

ويكون واضحا إذا كان بالأعداد أو دونها، كما في قول الإمام علي كرم الله وجهه:" ***منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب دنيا*** ".

ونجد تقسيم العدد موظفا في شعر اسماعيل زويريق.. كما في قوله من قصيدته (أيها القس)،ص:246،حيث يقول:

أيها القس قد أتيت ويلا * حبذا حكمت الحصاة قليلا

ما الذي يا هذا تروم إليه * بالذي عسْفا قد فعلت وصولا

ما الذي تبغي فارتكبت عظيما * واتخذت الرأي السخيف سبيلا

إن تكن لا تبصر الكليم كليما * لا ولا تبصر الخليل خليلا

فأنا مومن بربي الذي قد * بعث المصطفى وعيسى رسولا

إن تكن يا هذا بما في كتاب الله بالقرآن العظيم جهولا

فأنا مومن بكل كتاب * جاء منه مفصلا تفصيلا

ما أنا في ريب بما فيه يوما * ولذا لا لن أحرق الإنجيلا

لو نظرت القرآن يوما بطرف الحق يا هذا لن يعود كليلا

لعرفت القرآن حقا وأدركت الذي في القرآن جاء حلولا

جعل الناس يبصرون من الكون جميلا ويعشقون الجميلا

ففي هذا المقطع الشعري نجد توظيفا للتقسيم، حيث يجادل شاعرنا الكبير زويريق القس الأمريكي تيري جونز الذي أحرق نسخا من القرآن.. ومن خلال هذا التقسيم يبين جرم فعله، وشناعته، وينكر عليه فعلته، ويبين له بأن من يأت مثل هذا الفعل فهو عنصري، أحمق، لا بصيص له من نور.

ويظهر هذا التقسيم العددي كالتالي:

أ- ما يتعلق بالقس:

1- إتيان الوبيل 2- عدم تحكيم العقل

1- ارتكاب عظيم 2 – اتخاذ الرأي السخيف

1- عدم إبصار الكليم 2- عدم إبصار الخليل

1- الجهل بكتاب الله 2-الجهل بما فيه

1- الإيمان بالكتاب 2- الإيمان بمفصَّله

1-عدم معرفته بالقرآن 2-عدم المعرفة بما فيه

1- عدم النظر إلى القرآن بالحق 2- الإساءة إلى القرآن

1- عدم الرزانة 2- التسرع والتعجل

1- الانحدار إلى الدرك الأسفل بفعله 2- عيشه منبوذا ومعزولا بفعلته

1- سقوط نجمه وأفوله 2- الانحدار إلى حافة الهلاك

1- ليس بالقس اللبيب 2- هو قس جهول

1- عيشه طريدا 2-عيشه ذليلا

2- ما يتعلق بالشاعر

1- الإيمان بالله 2- الإيمان بالرسل والأنبياء

1- الإيمان بالكتب السماوية 2- الإيمان بما جاءت به من تفصيل

1- عدم الشك بما في القرآن 2- عدم الإساءة إليه و عدم إحراقه

1- رؤيته للكون جميلا بواسطة القرآن 2- عشقه من خلال القرآن لكل جميل

ب- *التقسيم بالموضوع:* حيث يتم التجميل والإجمال، ثم يتبع ذلك التفصيل في الموضوع، أو تقسيمه إلى وحدات. والغاية استيفاء المعنى والإحاطة به كما في قول علي رضي الله عنه (**زرعوا الفجور، وحصدوا التبور**).

والشاعر اسماعيل زويريق وظف هذا النوع من التقسيم في مديحه النبوي. كما في قصيدته (لا تكن غبيا)، ص:248، حيث يقول:

لا تكن يا شاعر الفرس غبيا * قف قليلا حكم العقل مليا

ما الذي يدعوك يا هذا إلى أن * تصدر الحكم عن العرْب فريا

اسأل التاريخ فالتاريخ يبدي * أيها المارق ما كان خفيا

اسأل التاريخ إن كنت جهولا * إن في التاريخ برهانا قويا

أنا لا أعرف في الأعراب إلا * شاعرا فذا ومقداما عميا

أين فيكم من يضاهي عروة بن الورد من كان شجاعا أريحيا

أين فيكم من يحاكي الشنفرى هذا الذي كان الجريء الألمعيا

ففي هذا المقطع الشعري نجد توظيفا للتقسيم الموضوعاتي، حيث يعمد الشاعر زويريق بواسطته إلى التوضيح والتفصيل والإبانة، وإظهار ما خفي.. فهو يطالب لشاعر الإيراني مصطفى بادَكوبه بمساءلة التاريخ.. ولا يقف زويريق عند هذا الطلب، بل يبين له السبب أو يبين له الدواعي لسؤال لتاريخ، وهو أن التاريخ يجلي ما خفي.. ويعطي الإجابات عما

غمض وجَهُل. كما يبين له بأن التاريخ حمال عبر، وضمَّام دروس وأثر.. ومن ثم فالتاريخ أقوى برهان على أمور كثيرة. كما يبين بأن هؤلاء العرب الذين يشتمهم ويسبهم، عرفوا بالكرم ولشجاعة، والدفاع عن المظلوم، والإيثار والنبل، والدفاع عن الحمى وقول الحق.. بالإضافة إلى شاعريتهم وتفاضلهم في الشعر.. وقد جمعت كل هذه الصفات وبينتها جملتان قويتان هما:(شاعرا فذا) و(مقداما كميا)..

ثم يعطيه أسماء عرب متحديا إياه من جملتهم : عروة بن الورد، والشنفرى وعمرو بن هند، وحاتم الطائي، والنابغة الذبياني. ولا يقف عند إعطاء الأسماء.. وتعداد الشخصيات العربية. بل يفصل في صفاتها، حيث يقدم الشخصية وما امتازت به من صفات ومكارم، كالشجاعة والأريحية، والجرأة والفروسية، والفضل والعبقرية..

النوع الثالث وهو التقسيم بالزمن، والمقصود بالزمن ما يتعلق به من ظروف ماضية وحاضرة ومستقبلية، أي الأمس واليوم والغد، مثل قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه:" **أنا بالأمس صاحبكم، وأنا اليوم عبرة لكم، وغدا مفارقكم**"[95] .

وهذا النوع من التقسيم نجد له بعض الحضور في مدائح اسماعيل زويريق النبوية ، كما في قوله:

ملكوا الأرض اقتدارا. نشروا الدين سلاما، لبسوا الأخلاق زيا

ما الذي كان لكم في سالف الدهر وفي دابره يسري دويا

إنني أعرف إيران التي ذا * دت عن الدين وما جاءت فريا

لست سنيا لبيبا لست شيعيا حصيفا، لست زنديقا ذكيا

[95] - الإمام علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، ص: 259/2

أو قوله: **قريب من نهايته ابتداء * قريب من بدايته انتهاء**

7- التطريز: حيث يتجاوز الترصيع مستوى البيت لينظم فضاء القصيدة باعتبارها أرضية ومشهدا واحدا يسمى ذلك تطريزا. فالقصيدة في هذه الحالة تشبه بالثوب المطرز. قال العسكري:" ***هو أن يقع أبيات متوالية من القصيدة كلمات متساوية في الوزن فيكون فيها كالطراز في الثوب***"[96].

وديوان (على النهج) جاءت فيه مجموعة من التطريزات التي أضافت لشعر اسماعيل زويريق بهاء ورونقا وجمالية، وفنية.. كما في قوله:

بنت سعاد فما للحزن تمهيل * الدمع منسجل والجسم مهزول

إن كنت ترنين: أني غير مستهف * فلا يغرنك تزيين وتجميل

قد غالب البدر لألأنه فإذا * من نوره البدر مكسوف ومخذول

هذي الشريعة قد أمست على خطر * ونحن شخصان: قابيل وهابيل

وقوله كذلك:

مزحت بالدمع الشفيف فراقت * لونها الضوء خمرها الأضواء

بين نفسي وبين ذاتي صراع * بين عقلي وبين قلبي جفاء

بين عيشي وبين موتي اختلاف * بين جهلي وبين علمي عداء

[96] - العمري،(محمد)،ص:152

8- التسميط: وهو نسق قافوي، وحركة داخل النظام تؤدي إلى تشكيل فضائي تصوره القدماء في صورة سمط، فاشتقوا اسما لهذه العملية منه[97].

ومن أنواع التسميط التي نجدها في شعر اسماعيل زويريق في ديوانه(على النهج)،تسميط البيت، حيث اعتمد الشاعر تغيير بعض مقاطع الأجزاء، وجاء بكلمات البيت على سجع يخالف قافية البيت، كما في قوله في قصيدته (خبرتك):

يحيرني تقلبه * فلا مد ولا جزر

ولا حزن ولا فرح * ولا شر ولا خير

ولا حب ولا بغض * ولا بوح ولا ستر

ولا سلم ولا حرب * ولا برء ولا ضر

كم نجد نوعا ثان وظفه اسماعيل زويريق وهو: تسميط الشطر. كما في قوله من قصيدته (أبو بكر الصديق):

لسبقه وسنه وفضله * وصدقه وحزمه وعدله

9- الترادف: وهو توالي الكلمات مردوفة وراء بعضها البعض دونما رابط أو وصل، كما في قوله:

كيف لا وهو الأمين العاقل الندب المطاع

فهناك فصل استعمل في هذا البيت نتج عنه ترادف الكلمات، والألفاظ في الشطر...

---

[97] - العمري،(محمد)، المرجع نفسه، ص:163

وهناك ظواهر صوتية أخري في شعر اسماعيل زويريق، منها:

10- الجناس: ويعتبر الجناس من الوسائل الأسلوبية المؤثرة في القول الشعري. ويتجلى في اعتماد عنصر المفاجأة إذ :" ***يتوقع المتلقي أن يؤدي التماثل الشكلي إلى تماثل دلالي، وهنا يحدث غير المتوقع. إذ يقود التماثل إلى التخالف وبهذا تتكاثر المنبهات التعبيرية التي تفعل في الموقف الشعري بأكمله، وتدفعه إلى تكامله الثلاثي(المبدع- المتلقي- الخطاب)"*** [98].

ويقوم الجناس على المشابهة والتضاد. فاللفظتان تتشابهان في الحروف، ويختلفان في المعنى. والجناس إما تام، أي يتفق اللفظان في الحروف وعددها وهيئتها وترتيبها.. والجناس الناقص وهو ما اختلف في أحد الأمور الأربعة السابقة أو أكثر.

فما نوع الجناس الذي وظفه اسماعيل زويريق في مديحه النبوي؟

لقد وظف الجنس الناقص ما دام قد اعتمد في أشطره على الموازنة الصوتية والوزنية.. والسبب هو أنه يريد أن يجنب المتلقي الوقوع في اللبس والخطأ في المعنى[99]. وأول تجل نجده هو: التجنيس في شعره.. وهو هذا الشكل من الترصيع الصرفي الموظف في قصائده غيداء/ملداء(داء)- ناعمة/ فارعة(اع ة)- عليم/ سقيم (ي م)- فضله/ عدله (ل ه)..

ويتجلى بقوة كذلك في التجاذب الحاصل بين الألفاظ المرصعة ، كما في مطلع قصيدة (بانت سعاد):

---

[98] - عبد المطلب،(محمد)،بناء الأسلوب في شعر الحداثة، دار المعارف، مصر، ط2، 1995، ص:330

[99] - سعد الجيار،(شريف)،شعر ابراهيم ناجي، دراسة أسلوبية بنائية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 2008، ص:142

بانت سعاد فما للحزن تمهيل * الدمع منسجل والجسم مهزول

فهناك تجاذب قوي بين (تمهيل)و(الحزن)، وبين (الدمع منسجل والحزن) و(بانت وتمهيل)، وبين (الجسم ومهزول)..وبين (تمهيل ومهزول).. ومن هنا شكلت كلمة (تمهيل) مركزا لتوازن صوتي " **كما يمكن اعتبارها نواة دلالية توجه المعنى**"[100].

ومن صور التجنيس التكراري المعتمد على تكرار الصوت، قوله في قصيدته (حديقة الرياحين في سيرة المرسلين (ص)):

سيرتها ملوحا بمجلد * أهديتها لمن به لم تلحق

تمشي بها من مخفق لزلق * من مخرق لفرق أو خيفق

من مهمه لفدفد من مفرق * لزهق من رقق لمصفق

فنجد غلبة لحرف القاف كصوت مهيمن في القصيدة. كما نجد هيمنة حرف السين في الأبيات التالية:

فلست أنسى وقد أمسى يذكرني * بما تسرين أو تبدين تخييل

أنساك . لا كيف ننسى ساعة جمعت * إلفين حالهما وجد وتبسيل

حاولت نسيان ما ألفيت من كمد *والشمس فوق مجالي الموج إكليل

ففي هذه الأبيات نجد هيمنة صوت السين، متقاربا مع صوت اللام والنون.. كما نجد ترددا لبعض الكلمات بصيغتين مختلفتين(أنسى- ننسى- نسيان) فقد تكررت كلمة (أنسى) وتغير فيها الضمير من المتكلم

[100] - عدناني،(محمد)،المرجع نفسه، ص:62

المفرد إلى جمع المتكلم.. وجيء بمصدرها كذلك.. وهذا نجد له حضورا في ديوان (على النهج)، كما في قول شاعرنا اسماعيل زويريق:

أبدتْ، وأبديتُ ما ظلت عواصفه * تزوي بنا، وإزار الطهر مسدول

كما نجد تكثيفا للأصوات وذلك في قوله:

إن الطليقة قد أضحت بلا رسن * وما وراء الذرى إلا الأراجيل

هذا القطيع قد استحذى ونام على * الإذلال رعيانه واستذاب الفيل

فقد تكررت أصوات (الضاد والذال والطاء) في مساحة ضيقة، وهي متقاربة من حيث النطق والصفات والخصائص الصوتية.

11- الترديد في مديحه النبوي:

الترديد بلاغة هو: "***أن يأتي الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى، ثم يرددها بعينها متعلقة بمعنى آخر في البيت نفسه، أو في قسيم منه***"[101]...وقد أسماه بعض البلاغيين **بالتعطف**[102]...ولو أن التعطف مرتبط بإيراد اللفظة متعلقة بمعنى آخر في عجز البيت، بينما تكون الأولى في صدره[103]... ويسميه أبو هلال العسكري ب(المجاورة)، وهي عنده: "***تردد لفظتين في البيت ووقوع كل واحدة منهما بجنب الأخرى أو قريبا منها من غير أن تكون إحداهما لغوا لا يحتاج إليها***"[104]... ومن ثمة فالترديد ظاهرة لغوية صوتية دلالية، تركيبية تقوم على التكرار والإعادة: "***فهو يشكل من زاوية النظر هذه مظهرا إيقاعيا لعب فيه***

---

[101] - ابن رشيق القيرواني، العمدة، ج1،ص:566

[102]- التبريزي، الوافي، ص:245

[103] - شعلال، (رشيد)، ظاهرة الترديد في شعر أبي تمام، مجلة التراث العربي، دمشق، ع90، السنة 23، يونيو 2003

[104] - أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص:

ذكر اللفظة ثانية دورا موسيقيا حرا لا يتقيد فيه الشاعر بمواضع من النظم معينة"[105]... والترديد يفرضه السياق – كما يقول الأستاذ شعلال - تجلية للمعنى وتزكية له.. أو رغبة من الشاعر في التوكيد والتفصيل، ومن ثم تنمية المعنى وبلورته.

والسؤال المطروح: هل وظف اسماعيل زويريق الترديد في مديحه النبوي؟..

لقد وظف الشاعر اسماعيل زويريق الترديد في مديحه النبوي لأغراض عروضية وجمالية.. ومن هنا نحصل في شعره على نوعين من الترديد:

1- **<u>ترديد المناسبة العروضية</u>**: وهو " ***أن تحل اللفظة المترددة من البحر محلا يتناسب عروضيا مع سابقتها ويساوي في ذلك تطابق التفعيلة أو بعضا منها أو أكثر من ذلك***"[106]...وما ناسب الترديد فيه أكثر التفعيلة، قوله في قصيدته (البردة: يا شاكي البان):

هو الجواد، هو المعبود منفردا * هو الكريم، هو الموسوم بالقدم
هو البصير بما تحت البحار وما*فوق السماء، هو الموصوف بالكرم
هو الغفور ومن يدعو سواه فقد* ضل السبيل وألقى النفس في الظلم

المتمعن في هذه الأبيات، يعتقد أنه أمام تكرار كلمة الضمير الغائب (هو) والصفة المشبهة باسم الفاعل (الجواد- المعبود- الكريم- الموسوم- البصير- الموصوف- الغفور)، وبالتالي يرتبط التركيب المتردد بمعنى آخر قريب من معنى صدر البيت...وهذا يجعل حقل الدلالة يتسع لاحتواء البيت على طباق، فيرتبط التركيب كله بمعنيين متضادين نمثلهما على الشكل التالي:

---

[105] - رشيد شعلال، المرجع نفسه
[106] - رشيد العلال، المرجع نفسه

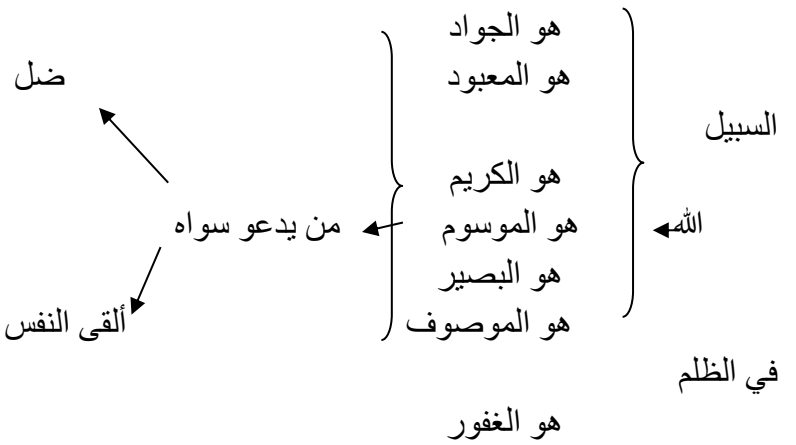

وقوله في قصيدته (ما الذي يغري في الزمان):

ما الذي يغري في الزمان أيا نفس إذا ما تخون الأمناء
ما الذي يغري في الزمان أيا نفس إذا ما تفرعن العلماء
ما الذي يغري في الزمان أيا نفس إذا ما تجبر الضعفاء
ما الذي يغري في الزمان أيا نفس إذا ما تسلق الجهلاء

وإذا ما لاحظنا التركيب النحوي لأبيات، نجدها تستند على التوزيع الإيقاعي والتقسيم.. حيث تماثل الصدور بعضها البعض وتتماثل الأعجاز فيما بينها مماثلة نحوية، وصرفية ووزنية ووظيفية.

ما الذي يغري في الزمان أيا نفس إذا ما تخون الأمناء **ما الذي يغري في الزمان أيا نفس إذا ما تفرعن العلماء** **ما الذي يغري في الزمان أيا نفس إذا ما تجبر الضعفاء** **ما الذي يغري في الزمان أيا نفس إذا ما تسلق الجهلاء**									
ما	**الذي**	**يغري**	**في**	**الزمان**	**أيا**	**نفس**	**إذا ما**	**تخون**	**الأمناء**
ما	**الذي**	**يغري**	**في**	**الزمان**	**أيا**	**نفس**	**إذا ما**	**تفرعن**	**العلماء**
ما	**الذي**	**يغري**	**في**	**الزمان**	**أيا**	**نفس**	**أذا ما**	**تجبر**	**الضعفاء**

ما	الذي	يغري	في	الزمان	أيا	نفس	إذا ما	تسلق	الجهلاء
أداة استفهام	اسم موصول	فعل مضارع (صيغة يُفْعِل)	حرف جر	اسم مجرور	أداة نداء	منادى	أداة ظرفية تفيد الزمان	فعل ماض (صيغة تفعَّل)	فاعل (صيغة فعلاء)

ونجد أن الصدور تطابقت التفعيلة فيها مطابقة تامة، حيث تكررت نفس الجملة الشعرية(**ما الذي يغري في الزمان أيا نفس إذا ما + الفعل+ الفاعل)** في جميع الأبيات :

وعندما نقابل بين الإيقاعات المتساوية في الأبيات الأربعة، فإننا نجد الترصيع يكون قريبا منها، لما يسببه التكرار في هذا التمثيل من تحقيق هذه الخاصية العروضية....

وقد كان للترديد في هذه الأبيات الأربعة أهمية، لتكرار بعض الألفاظ(**ما الذي يغري في الزمان أيا نفس إذا ما**)، والقافية ورويها (الهمزة).ومثل ذلك في قوله في قصيدته (رباعيات):

هو في الوحدة خلي هو في المحنة غوثي

0/0/// 0/00/// 00/// 0/0///0/

فعلاتن فعلاتن فعلاتن فعلاتن

هو في الغمة عوني هو في الحِرة غيثي

0/0/// 0/00/// 0/0/// 0/00///

فعلاتن فعلاتن فعلاتن فعلاتن

وقوله أيضا في قصيدته (العاشقان):

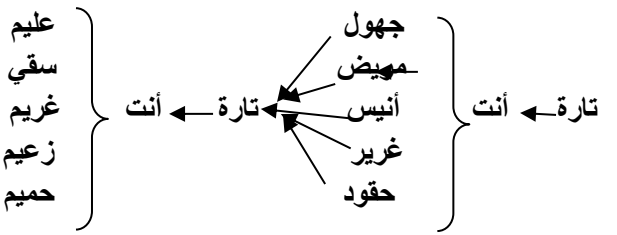

ففي الأبيات قد تحققت مجموعة من الأشياء: التكرار حيث تكررت لفظة (تارة) والضمير المنفصل(أنت)، كما تحققت المضارعة من خلال الألفاظ التي جاءت على صيغة (فعيل)و(فعول)،كما تحققت الممثلة من خلال العروض التي تكررت على صيغة(فعيل).

وتوظيف هذا النوع من الترديد يجسد حرية الشاعر في التعبير عن نواياه، وأغراضه.. وهذا يبين الخاصية التصريفية التي تمتاز بها اللغة العربية.. كما يعطي للترديد دلالية سياقية، متجددة تتلاءم ومستويات الخطابات المتعددة...

الصورة الشعرية

إن تحديد مفهوم الصورة الشعرية شابه كثير من الاضطراب، والغموض، الشيء الذي دفع بالباحثين إلى القول:" **إن أية محاولة لإيجاد تحديد نهائي مستقر للصورة غير منطقية، إن لم يكن ضربا من المحال**"[107].

ويرجع الأستاذ محمد علي كندي[108] ذلك إلى:

- تعبير الصورة عن الطبيعة الفردية المتغيرة.
- اتصافها بالمرونة والتطور.
- تشكلها بحسب الرؤى، والمواقف، والتفاعلات الحسية والمجردة، التي يصدر الأدباء عنها.

هكذا تعددت التعاريف، وتنوعت، وبالتالي التوى مسار مفهومها.. واختلف الرأي حول تأصيلها وتطورها. فقد أكد الدكتور أحمد جابر عصفور، أن النقد القديم عالج:" **قضية الصورة الفنية معالجة تتناسب مع ظروفه التاريخية، والحضارية. فاهتم كل الاهتمام بالتحليل البلاغي للصورة القرآنية، وتمييز أنواعها ، وأنماطها المجازية. وركز على دراسة الصورة الشعرية عند الشعراء الكبار أمثال أبي تمام، والبحتري، وابن المعتز. وانتبه إلى الإشارة اللافتة التي تحدثها الصورة في المتلقي**"[109].

وعلى الرغم من أن مصطلح الصورة الشعرية ، وفد إلينا من الغرب، فإن كثيرا من مكوناته موجود في تراثنا النقدي والبلاغي القديم...

---

[107] - موسى صالح، (بشرى)، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994، ص: 19

[108] - علي كندي، (محمد)، الرمز والقناع، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، مارس 2003، ص: 17

[109] - د. جابر عصفور، (أحمد)، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز العربي الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء، ط3، 1992، ص: 8

ويعتبر الجاحظ أول من نبه إلى (التصوير)، حيث قال:" **إنما الشعر صناعة، وضرب من النسيج، وجنس من التصوير"**[110].

ولا يكون الشعر شعرا إلا إذا حقق لدى المتلقي المتعة الفنية، وأثر في نفسه تأثيرا خاصا... وقد اعتبر الجاحظ أنه: **"ليس المعول في الشعر على نظم الحكم والأفكار المجردة، بل المعول فيه القدرة على صياغة هذه الأفكار صياغة جديدة، مؤثرة، تعتمد على التصوير"**[111]، الذي يستميل المتلقي، ويستهويه، ويثيره...وبالتالي يصبح الشعر تجسيما للصور والمعاني.

وهذا التصوير الذي يقره الجاحظ، يؤدي إلى الأسلوب الشعري الذي يقوم على إثارة الانفعال، واستمالة المتلقي بكيفية خاصة في صياغة الأفكار والمعاني، وتقديمها بطريقة حسية، تقترب- إلى حد كبير- من مفهوم التجسيم، بشكل يجعل الشعر قرينا للرسم، مشابها له في الصياغة والتشكيل، ومختلفا عنه في المادة والتعامل.

والصورة مرتبطة بالتجربة الشعرية.. وبما أن الشعر تجربة، فلكل تجربة لغتها.. واللغة خلق مستمر.. وقد ربطها الدكتور أحمد جابر عصفور: **بالخيال، الذي اعتبره:" القدرة على تكوين صور ذهنية لأشياء غابت عن متناول الحس"**[112].

كما أن الخيال يرتبط بالشعر، لأنه: "***نشاط خلاق (...) يدفع المتلقي إلى إعادة التأمل في واقعه من خلال رؤية شعرية لا تستمد قيمتها من مجرد الجدة أو الطرافة. وإنما من قدرتها على إثراء الحساسية،***

---

[110] - الجاحظ،(أبو عثمان عمرو بن بحر)، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1948، ج3، ص: 131- 132

[111] - د. جابر عصفور، (أحمد)،الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء، ط3، 1992، ص: 256

[112] - احمد جابر عصفور، المرجع نفسه، ص: 13

وتعميق الوعي"[113]. وبالتالي تصبح الصورة أداة الخيال ، ووسيلته، وتصبح تبعا لذلك نتاجا:"***يتداخل فيه الحدس والعقل، والانفعال*** "[114].
والصورة الشعرية تركيب لغوي لتصور معنى عقلي، وعاطفي متخيل لعلاقة بين شيئين، يمكن تصويرهما بأساليب عدة. إما عن طريقة المشابهة، أو التجسيد، أو التشخيص، أو التراسل. فهي: "***إعادة إنتاج عقلية، ذكرى لتجربة عاطفية أو إدراكية عابرة. ليست بالضرورة تغييرية مباشرة***"[115]. والشعر إذا خلا من الصورة، أي من الاستعارة والمجاز أصبح أملس.. وهذا يؤكده ابن رشيق القيرواني لقوله:***لا ينبغي للشعر أن يكون مغسولا من هذه الحلي ، فارغا***"[116]. وقول المرتضى:" ***إن الكلام متى خلا من الاستعارة، وجرى كله على الحقيقة، كان بعيدا من الفصاحة بريا من البلاغة***"[117].
وشاعر النخيل اسماعيل زويريق اهتم بالصورة في مديحه النبوي، ووعى أهميتها. لذا جاء شعره حافلا بالصور الفنية، التي أعطت لمديحه النبوي بعدا جماليا، ودلاليا. وميزته بالتأثيرية والإبداعية.
والصورة التي اعتمدها زويريق والتي من خلالها عبر عن نفسه، وعن حالة الحنين والشوق والألم، استعمل الصورة القديمة، المعتمدة على الأساليب البلاغية..

---

[113] - المرجع نفسه، ص: 14
[114] - ارحومة (محمد)، مسرح صلاح عبد الصبور: دراسة فنية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1990، ص: 150
[115] - عمر يوسف، (قادري)، التجربة الشعرية عند فدوى طوقان بين الشكل والمضمون، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د- ط)، 1999، ص:74
[116] - الرضي، (تلخيص البيان في مجازات القرآن، تحقيق محمد عبد الغني حسن، عيسى الحلبي، القاهرة، 1955،ص: 123
[117] - المرتضى، (الشريف علي بن الحسين)،أمالي المرتضى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى الحلبي، القاهرة، 1954،ج:2، ص:95

وعندما نتتبع مديحه النبوي في –على النهج)، نجد فيه الصورة على نوعين:

1- الصور المفردة الجزئية: وظف اسماعيل زويريق هذا النمط من الصور، والتصوير في شعره، باعتماد خاصية: التجسيم، والتشخيص، والتجريد:" ***ففي التجسيم تأخذ المعنويات صفات محسوسة، ومجسمة، وفي التشخيص تدب الحياة، والصفات الإنسانية في المحسوسات، والمعنويات. أما في التجريد فتكتسب الماديات صفات معنوية***" [118]..

يقول في قصيدته(هيج الشوق):

هيج الشوق لذي سلم * طائر غنى على علم
فاستطير القلب طائره * واستهل الطرف من سقم
كيف ينسيني البعاد وما * في فؤادي عليه لم يرم
كلما أطفأ منه لظى * ثار في قلبي لظى ضرم
حب من يغري أحبته * كالذي بالشرب صار ظمي

نجد زويريق يأتي بصور جميلة في هذه القصيدة، رغم أنها صور حسية، مادية، ملموسة. فهو يناجي نفسه، وينادي رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي يكن له محبة عارمة. ومن شدة شوقه وحنينه لزيارة قبر النبي والأماكن المقدسة يشبه نفسه بطائر ألف الغناء، وتمنى لو طار إلى الحجاز لإرواء النفس برؤية الأماكن المقدسة والتبرك بها.. فرغم المسافة فهي لا تزيده إلى شوقا ولا تهيج إلا حنينا ورغبة في الزيارة والحج.. ويحن إلى زيارة روضته الشريفة...

[118] - معاذ عبد الله حامد إشتيه، عبد اللطيف عقل شاعرا، رسالة لنيل درجة الماجستير ، تحت إشراف أ.د. عادل مصطفى الأسطة، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، 2003،ص:17

وأمام هذا الشعور الجميل، يحس أن الشوق كلما بعدت المسافة يزداد تأججا. ويشبه حالته بذلك العطشان الذي كلما شرب وارتوى إلا ازداد عطشا.. فهو كلما زار الأماكن المقدسة وعاد إلى بلد المغرب إلى ازداد شوقا وحنينا ورغبة في إعادة الزيارة مرة اخرى...

وعندما يخلو الشاعر إلى نفسه، يتذكر ما ينتظر الإنسان، فتدمع عينه، وينفطر قلبه، وتركبه المواجع.. فيشكو إلى الله قلة حيلته، ويتضرع إلى نبيه الكريم راجيا أن يكون شفيعه يوم الحشر... ولذا يقر بأن الإنسان لن يجد غدا ما ينجيه إلا عمله الصالح.. فنجده يقول :

زادنا اليوم ليس فيما احتوته الأرض ولا فيما سقته السماء
زادنا اليوم في الذي أسفرت عنه سنا تلك الصفحة السوداء

فنجده يشبه صحيفة الإنسان/كتابه والذي سيقرأه بنفسه ليرى أعماله، بصفحة سوداء. لما حبر عليها من أعمال. فتعن الذكريات والصور بخياله، وتغازل صورة قبر النبي صلى الله عليه وسلم مخيلته، فيهيج الشوق. ويحس أنه عاد إلى زمان ولى.. ويحس أن نفسه اعتراها الداء وأن لا شفاء إلا التوجه إلى الديار المقدسة...

دائي وما يشفيه غير دواكا * ما حيلة المرء الذي يهواكا
إن كان سيف البعد يقصيني فما * يقصي خيالا يهتدي لحماكا

فهو يقدم لنا صورة حسية، وهي أنه أمام شوقه لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، يحس نفسه أنه أصبح معلولا، يلبسه الداء.. عاجزا عن الحركة، والتنقل، فبعد المسافة يزيد من معاناته وألمه...وبعد المسافة يشبهها بسيف يقصيه ويمنعه من إشباع رغبته.. فالجسد مبعد ولكن الخيال حاضر دائما هناك...

وعندما نتمعن في هذه الصور الموظفة ، بعض الأحاسيس الوجدانية قد جسمها وشيئها. وأعطاها أبعادها. كما أنه قام في تصويره بأنسنة بعض مكونات الطبيعة، حيث أن الدرة والنجمة والنور هي كلها شاهدة على حنينه وشوقه ورغبته في الزيارة، وبذلك نجدنا أمام أوصاف حسية مدركة...

واسماعيل زويريق يلجأ إلى هذا التوظيف الفني التصويري، ليحرك ذهن المستمع أو المتلقي، ويحرك وجدانه، وأحاسيسه. وتتجلى أهميتها لديه في أمور ثلاثة، هي[119]:

1- الدلالة على إبداعه كشاعر: لقد اهتم بالصورة البلاغية في مديحه النبوي.. وهذا دليل على قدرته على التعبير عن مشاعره، وأفكاره، ورؤيته. واهتمامه بالصورة يدل على اتساع ذهنه، وخصوبة خياله، وتعرفه الدقيق على الأساليب الشعرية.

2- التعبير عن نفسيته كشاعر: كان اسماعيل زويريق شديد الحساسية بالشعر، واللغة. وهي تتلوى في نسيجه الشعري، معبرة عن شاعريته، ورؤاه.

وقد جمع شعره بين النسج القوي، واللغة الرصينة، والصورة التقليدية الجميلة، الحالمة، والموسيقى العذبة، والإيقاع السلس.

3- التعبيرعن مقاصده كشاعر: يقول ابن طباطبا العلوي في كتابه (عيار الشعر):"***التشبيهات على ضروب مختلفة. فمنها: تشبيه الشيء بالشيء، صورة وهيئة. ومنها تشبيهه به معنى، ومنها تشبيهه به صوتا.. وربما امتزجت هذه المعاني بعضها ببعض. فإذا اتفق في الشيء المشبه بالشيء معنيان، أو ثلاثة معان من هذه الأوصاف،***

[119] - داني، (محمد)، محمد علي الهاني... شاعرا، كتاب رقمي، : 166

قوي التشبيه وتأكد الصدق فيه، وحسن الشعر به للشواهد الكثيرة المؤيد له".

وقد اهتم زويريق بالصورة، والتشبيه على مختلف ألوانه. كما أن اعتناءه بالبساطة في تراكيبه الشعرية، وعدم التعقيد في المعاني والأفكار، سهل عليه رسم صوره البلاغية، وجنبه الحشو والإطناب. و قد وظف ثلاثة أنماط من الصورة الشعرية. هي:

1- الصورة التشبيهية: يقول جابر عصفور في تعريف التشبيه:" ***التشبيه علاقة مقارنة تجمع بين طرفين، لاتحادهما أو اشتراكهما في صفة أو حالة، أو مجموعة من الصفات والأحوال. هذه العلاقة قد تستند إلى مشابهة حسية، وقد تستند إلى مشابهة في الحكم أو المقتضى الذهني الذي يربط بين الطرفين المقارنين، دون أن يكون من الضروري أن يسترك الطرفان في الهيئة المادية، أو في كثير من الصفات المحسوسة***"[120].

وقد وظف إسماعيل زويريق الصورة التشبيهية في مديحه النبوي في(على النهج)، فتعددت أنماطها، ومنها:

- التشبيه المرسل المجمل: وهو التشبيه الذي تذكر فيه الأداة، ويحذف منه وجه الشبه. وهذا يعطي بعض الجمالية في شعره... كما يحث المتلقي على إعمال فكره، وذهنه، ومخياله لتحديد الصفة المشتركة بين أطراف التشبيه: المشبه، والمشبه به، ووجه الشبه. كما في قوله من قصيدته (البردة: يا شاكي البان):

الرزء أعظم به، ما كالفراق على * قلب امرئ لين في الطبع محتشم
فلست تعلم ما يأتي الزمان به * إن الزمان كسيف قاطع خذم

---

[120] - د. جابر عصفور، (أحمد)، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي،ط3، 1992، ص: 172

فقد استعمل في تشبيهيه الأداة(الكاف)والمشبه (الرزء- الزمان)، والمشبه به (الفراق- السيف)، ولكن لا يوجد وجه الشبه، الذي هنا (البعد- الفرقة- الألم- الحرقة- الشوق...)و(مضاء- حدة- قطعا- ضربا...).

واسماعيل زويريق لم يستعمل هذه الأداة التشبيهية في صياغة تشبيهاته بل استعمل أدوات أخرى. وهذا التشبيه يتكون من صور ثلاثة، هي على الشكل التالي:

- الصورة الأولى: أداة التشبيه (الكاف)، كما في قوله في قصيدته (هيج الشوق):

حب من يغري أحبته * كالذي بالشرب صار ظمي

- الصورة الثانية: أداة التشبيه (كأن).. كما في نفس القصيدة، والتي يقول فيها:

تأتي بلا خوف على من راعها * وكأنها ار الهشيم الزاحفة

- الصورة الثالثة: أداة التشبيه (كما). كما في قصيدته(مكة المكرمة)، والتي يقول فيها:

ليتني يا حمام مكة في أمن كما أنت من رياح الشجون

وقد توزعت هذه الأدوات التشبيهية عبر مجموع مديحه النبوي المتضمن في الديوان الشعري (على النهج)، حيث بلغ مجموعها 201 أداة تشبيهية، موزعة على الشكل التالي:(الكاف تكررت 53 مرة، كما تكررت 58 مرة، كان 85 مرة، مثل، خمس مرات. وقد احتل الجزء الخامس المرتبة الأولى ب 73 أداة. والجزء الأول ب 44 أداة، والجزء الرابع، 38 أداة.

2- التشبيه البليغ: وقد استخدمه الشاعر اسماعيل زويريق في شعره، وهو تشبيه حذفت منه الأداة، ووجه الشبه.

يقول في قصيدته (يا رسول الله):

أنت للخلق ملهم وسراج * أنت للناس نعمة نعماء
أنت للغاوي منقذ وبشير* أنت للساري واحة خضراء
أنت أنت الرسول، مبعثك الحق، فأنت الشريعة السمحاء
أنت للعقل كوكب مستنير * أنت للنفس جنة ووقاء

نجد الشاعر اسماعيل زويريق يوظف في هذا المقطع صورا اعتمدت على التشبيه البليغ، الذي لا يعتمد على أداة التشبيه، ولا وجه الشبه...فنجد تشبيها بليغا، حيث يشبه الرسول صلى الله عليه وسلم بالسراج والنعمة النعماء، والواحة الخضراء، والشريعة السمحاء..

3- الصورة الاستعارية: الاستعارة تشكل وجها من وجوه المجاز اللغوي، لعلاقة هي المشابهة مع قرينة ملفوظة أو ملحوظة، تمنع إرادة المعنى الحقيقي [121]._وقد أكد البلاغيون على أهمية التصوير، بضرب الاستعارة. فهي:" ***قمة الفن البياني، وجوهر الصورة الرائعة ، والعنصر الأصيل في الإعجاز، والوسيلة الأولى التي يحلق بها الشعراء وأولو الذوق الرفيع إلى سماوات من الإبداع ما بعدها أروع ، ولا أجمل ولا أحلى"*** [122].

يقول في قصيدته (بانت سعاد):

فكيف تدرك يوما ما يسهدني * وطائر القلب عن دنياي مشغول
ألبستني من ثياب الحزن مبذلة * نسيجها بفتيل النار مغزول
ما نامت العين جراها ولا انفرجت * عني الهموم. ولا انجابت بلابيل

[121] - بكري، (شيخ أمين)، البلاغة العربية في ثوبها الجديد(علم البيان)، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 2001، ص: 67
[122] - المرجع نفسه، ص: 100

ففي هذه الأبيات نجد توظيفا للصورة الاستعارية والتي أعطت للقصيدة بهاءها وجمالها.. وفنيتها، حيث صور القلب كطائر مشغول عن الدنيا بغنائه. وجعل الحزن ثيابا يلبسها الشاعر عندما يحس بالشوق والحنين، وأصبحت من الشوق النار مفتولة مغزولة كأنها حبل من نار. واستعار للعين النوم، وكل هذه الاستعارات حسية...

4- الصورة الحديثة: ومن المظاهر الفنية في صوره الحديثة، حدة إحساسه، ورغبته في إبراز هذا الإحساس الحاد بأقصى ما يمكن من البيان والتأكيد. وتحقق هذا في بعض قصائده ببناء العبارات الشعرية في الأسطر، والأبيات المتتابعة على نمط لغوي، وبياني واحد. وقد تتضمن العبارات المتقاربة بعض المجاز أو الألفاظ الوجدانية الحديثة. لكن منطلقها يظل هذا البناء اللغوي الذي يعتمد أحيانا على الاستفهام، أو التعجب، أو النفي، مع نسق خاص للعبارة في أوضاع أفعالها وأحوالها، وصفاتها، وإضافاتها:"***وقد يؤدي اعتماد الشاعر على صيغ الاستفهام والتعجب، والتساؤل ، والنفي إلى علو النبرة ، وصخب الإيقاع***"[123].

يقول في قصيدته (ضاق صدري):

ضاق صدري على فراش وثير * كيف لي إن وسدت هذا الترابا
صرت ذلك الذي قد افتقد الأصحاب في منتداه و الأحبابا
لا أرى منهم القريب قريبا * بيننا أسدل الحمام حجابا
لم أقم للآتي من الدهر وزنا * لم أقم للمصير يوما حسابا
كنت لا أبصر المسافات ضاقت * لا أرى متن الأرض إلا رحابا

[123] - د. القط، (عبد القادر)، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر،دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،ط2 ، 1981،ص: 396

ملامح الصوفية في مديحه النبوي

المديح النبوي باب للتصوف وشعر التصوف، اشتراكهما في الحب الملتاع نحو النبي صلى الله عليه وسلم، الذي هو الطريق إلى حب الله.

ولما عرفه عالمنا العربي والإسلامي من نكبات، التجأ الشعراء إلى نظم البردة ينحون منحى كعب بن زهير، يعتذرون فيها عما آل إليه مجتمعنا العربي والإسلامي .. وما ناب الناس من شرخ في القيم والأخلاق .. ومدحا للرسول صلى الله عليه وسلم .. ومن هؤلاء البوصيري في بردته الشهيرة وهمزيته " ***اللتين كان لهما أبعد الأثر في الشعر والشعراء، وخاصة بردته التي ضمنوها وشطروها وخمسوها، وسبعوها وعشروها وعارضوها*** "[124].

وهذه المدائح تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ - قصائد المديح النبوي العادية: والتي تذكر فيها فضائل النبي صلى الله عليه وسلم، مكارم أخلاقه.

ب - قصائد الحنين والشوق إلى المرابع النبوية: ويعد هذا النمط نوعا من المدائح النبوية، حيث يتم فيها:

* ذكر الأماكن والشوق إليها.

* التعبير عن الشوق والتلهف إلى زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم.

* الشوق إلى الروضة الشريفة.

[124] - د. زكي ،(مبارك)، المدائح النبوية في الأدب العربي، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، 1931، ص:164

ج- الرسائل الشعرية الموجهة إلى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم: وقد اعتمد هذا النوع أهل المغرب لاختصار البعد المكاني بين قبر النبي الكريم وسكان المغرب...

وقصيدة المدح النبوي نجد أن أصحابها أحيانا نحو فيها منحى الغلو والمبالغة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وأطروه إطراء كان قد نهى عنه النبي. وهذا اللون من المدائح يعد فنا من فنون التصوف. فهو يجعل من النبي سر الوجود وعلة الأكوان، وذلك أن المديح عند هؤلاء يتجاوز وصف النبوة الظاهر إلى القول بالحقيقة المحمدية والنور المحمدي اللذين هما أصلان من أول التصوف. فعلى حد قول ابن عربي:" ***إنما كانت حكمته فردية لأنه أكمل موجود في هذا النوع الإنساني. ولهذا بدئ به الأمر وختم، فكان نبيا وآدم بين الماء والطين. وأول الأفراد الثلاثة. وما زاد على هذه الأولية من الأفراد فإنها عنها فكان عليه السلام أول دليل على ربه ، فإنه أوتي جوامع الكلم التي هي مسميات أسماء آدم***"[125] .

والرسول الكريم عند الصوفية حقيقة أزلية كانت قبل خلق الخلق. فهو الإنسان الكامل الذي اجتمعت فيه جميع أوصاف الجمال العقلية والروحية والمادية المطلقة. والغلو تمثل فيما سماه الصوفية بالحقيقة المحمدية والنور المحمدي، وتوسلهم به قبل أن يخلق...

واسماعيل زويريق اتبع في مدائحه النبوية سنة المتصوفة في ذكر الأنبياء ومدحهم في قصائده.. فنجد ذكرا لموسى وعيسى وآدم عليهم السلام.. ورغم كل هذا لا يعدم المرء أن يجد في هذا المديح "***صورة***

[125] - ابن عربي، فصوص الحكم، ص:214

جميلة أو أبياتا رائعة أو تعبيرا عفويا وعاطفة صادقة، أو لمحة وجدانية معبرة"[126]...

والشعر الصوفي ارتبط بالمديح النبوي، وقد كان الدافع إليه الحب الشديد لرسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم. وكان الاستناد في ذلك إلى مدح الله تعالى لرسوله الكريم في القرآن في قوله تعالى:" ***وإنك لعلى خلق عظيم***" .ومن خلال هذه العظمة في الخلق ومكارم الأخلاق، انبعثت المبالغات في المديح النبوي.. ولذا كان حب الله ورسوله أداة لتهذيب وجدان المسلم، وضبط سلوكه.. ومن ثمة كانت الشخصية المحمدية النموذج الكامل عند المسلم وعند المتصوفة. ولذلك" ***فلو بالغ الأولون والآخرون في إحصاء مناقبه لعجزوا عن ضبط ما حباه مولاه من مواهب ولقد أحسن من قال:***

أرى كل مدح في النبي مقصرا * وإن بالغ المثني عليه وأكثرا

إذا الله أثنى بالذي هو أهله * عليه فما مقدار ما تمدح الورى

فكل غلو في حقه تقصير، ولا يبلغ البليغ إلا قليلا من كثير"[127]...

هكذا ارتبط المديح النبوي بفكرة الحقيقة المحمدية، والتي قال بها المتصوفة. ويؤكد الدكتور محمد بنعمارة أن هذه الحقيقة المحمدية تنبني على:

1- أن الوجود النبوي سبب في وجود الدنيا.. حيث أنه لو لم يوجد محمد صلى الله عليه وسلم لما ظهرت الدنيا من العدم.

---

[126] - أبو زيد،(علي)، البديعيات في الأدب العربي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ، 1983، ص:49

[127] - د. بنعمارة، (محمد)، الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2001، ص: 114

2- أن وجود محمد صلى الله عليه وسلم سبق وجود آدم.

3- أن محمدا صلى الله عليه وسلم مخلوق نوراني، وأن النور المقصود في القرآن هو النبي محمد.. والشاهد في ذلك قوله تعالى:"***يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير .قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين***"[128].وقوله تعالى أيضا:"***يا أيها النبيء إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا***"[129].واعتبر المفسرون المتصوفة النور والسراج المنير هو النبي صلى الله عليه وسلم.

والمتصوفة في مديحهم النبوي "***لم يغفلوا الجنب النوراني، وأوثقوا الصلة بين نبوة محمد (ص) والنور، بل بين نور محمد ونور الشمس. وذهب بهم مذهب التوحد إلى أن يتحد النور المجازي(نور النبوة)،بالنور الحقيقي. أي مصدر النور(الشمس الساطعة)*** "[130]. واعتبروا أن محمدا صلى الله عليه وسلم سيد الكائنات كلها.. وأفضل الخلق جميعهم. وهكذا نهل المديح النبوي من فكرة الحقيقة المحمدية، وتشبع بالفكر الصوفي. وفي هذا الباب يؤكد الدكتور محمد بنعمارة أن "***قصائد المديح النبوي بنيت في معظم معانيها على ما أورده التصوف في الحقيقة المحمدية، إذ لا يخلو قصيد من قصائد المديح من فكرة سيادة محمد صلى الله عليه وسلم وأوليه وأنواره***"[131]...

كما أن المديح النبوي أصبح لا يخلو من الاستغاثة برسول الله يتم في الاستغاثة التشكي من حال الأمة.. كما يتم فيها طلب الشفاعة والشفاء.. وشكوى الحنين والشوق والتشوق لزيارة الأماكن المقدسة.. كما نجد

---

[128] - المائدة،15-16

[129] - الأحزاب، 45- 46

[130] - د. بنعمارة، (محمد)، المرجع نفسه، ص: 116

[131] - د. محمد بنعمارة، المرجع نفسه،ص:117

عند الشاعر اسماعيل زويريق، حيث يقول في قصيدته(ولد المصطفى):

يا أبا القاسم المجتبى المصطفى * أنت من أنقذ الكون مما جنى

نحن في هذه الأرض ليس لنا * غيرك اليوم يكشف ما همنا

نحن في أمة نسيت قدرها * وجرت حلف ما ليس فيه الهنا

نسيت أمرك المنتقى وانزوت * في لظى الكرب قد غرقت زمنا

وقوله أيضا:

يا خير من وطئ البسيطة راجلا * أو راكبا بك أستجير من الكرب

ارحم فهذي أمة الإسلام قد أضحت * هشيما بين نيران اللهب

العالم العربي أضحى نكتة * والدين أضحى بين أنياب الريب

إن لم تحرره من الأسواء يا * من حرر الأكوان من قبل، اغتهب

وقوله أيضا:

يا رسول الله يا من أنقذ الناس وعلم

كن شفيعي يوم لا يجدي من المال المكوَّم

والشاعر اسماعيل زويريق تنبه إلى ذلك.. ولذا جاء شعره في(على النهج) به مسحة من صوفية، مما جعل قصائده المدحية ذات مستوى وجداني عال.. تحققت من خلاله تجربته الشعرية الوجدانية ،والتي نستنبط منها محبة الشاعر القوية لرسول الله، والأماكن المقدسة المنبثقة من محبة الله...فجاءت بعض قصائده فيمدح خير البرية معبرة في

مضامينها عن مفهوم الحقيقة المحمدية" ***كالسيادة، والأفضلية، والأولية، والأنوار***"[132]..

ومن هنا تحقق في تجربة اسماعيل زويريق الشعرية المحبة الصادقة، والشوق العارم لرسول الله، والتأثر بمكونات الحقيقة المحمدية، وبالنموذج المدحي النبوي العربي والإسلامي..

هكذا نجد في قصائده فكرة السيادة، كما في قوله:

رسول الله سيدنا * أنار الكون مقدمه

وقوله أيضا:

مولاي صل على المختار سيد أهل هذه الأرض من عرب وعجم

وكذلك قوله:

ها هنا سيد الوجود رسول الله هذا ضريحه المقراء

ها هنا يرقد الهدى يرقد الصبر، هنا يرقد الذرى والسخاء

ووردت كذلك النورانية كما في قوله:

فنوره النور يجلي كل حاكية * كأنه فوق مجلى القلب إكليل

قد غالب البدر في لألائه فإذا * من نوره البدر مكسوف مخذول

سناه عم رحاب الأرض قاطبة * فما يجاريه وجه البدر مكمول

وقوله أيضا:

[132] - د. محمد بنعمارة، المرجع نفسه، ص:118

أرسله رحمة للعالمين ونورا يهتدي بسناه كل منتظم

وقوله كذلك:

حيث الينابيع بالأنوار جارية * وحيث نور الهدى ينساب في الظلم

نور أضاء رحاب الكون قاطبة * فعاد منجى لذي يأس وذي برم

كما قرن النبوة المحمدية والشمس، أي ما عبر عنه الفكر الصوفي بشمس الهداية، كما في قوله:

فما رأت في شروق الشمس واعظة

تهدي وتنأى بها عن وضعها القزم

وتأثر الشاعر اسماعيل زويريق بنورانية النبوة واضح في شعره، والتي ترجع في مضمونها إلى مفهوم الحقيقة المحمدية. وهذا يبين مدى تأثره بمدائح البوصيري وشوقي وغيرهما من شعراء المديح النبوي..

ولد الرشد والهدى مستهلا * فإذا الأرض جنة فيحاء

أشرق الكون من ضيائك إشراقا * وضاءت من نورك الأنحاء

وقوله كذلك:

أرسلته رحمة للعالمين ونورا يهتدي بسناه كل منتظم

وقوله أيضا:

كيف لا تخشى الله نفس وقد أدركت الحق عينها البرجاء

وارتوت من أنوار الهداية كأسا * ما لها في كل الكؤوس كفاء

كما قرن النبوة والأفضلية والخيرية.. كما في قوله:

خير البرية إني جئت ممتدحا * بما تيسر لي من صادق الكلم

وقوله كذلك:

محمد يا خير الورى إنني هنا * ودمعي على ما هالني جف هامله

وقوله في الأفضلية:

هو المصطفى خير الأفاضل كلهم * فأخلاقه لا تنتهي وفضائله

وقوله:

يا من خصه الرحمان بالفضل العميم وبالسنى من الرتب

وأيضا:

يا رسول الله يا أفضل من صلى وصام

لكل عقيدة عندي مكان * بهذا أوصت الرسل العبادا

لقد جاءوا بما جاءوا طريقا *يروم بمن تعلقه رشادا

وأفضلهم رسول الله من جا * ء بالإسلام نهجا واعتقادا

كما قرن الإمامة بالحقيقة المحمدية، حيث قال:

ـ يا إمام الهدى إننا أمة * هذه الأرض نركبها سفنا

ـ وفي الإمام الذي أثنى عليك إذا * سبحت لي أبوة في يمه العرم

ـ نقلة قادته إلى المسجد الأقصى فصلى وراءه الأنبياء

كما يربط الحق بهذه الحقيقة المحمدية حيث يقول:

ولد الحق فالوجود سناء * داشن الضوء ما له إطفاء

لاح في مفرق الزمان شعاعا * يحتوي الأرض نوره الألاء

من سناه ارتجت أواوين كسرى * واعترى نار المعبد الإخباء

ومن الرموز الصوفية التي نجدها في مدائح اسماعيل زويريق النبوية:

1- ***الرمز الخمري:*** يقول فيها تقليدا.. والصوفية ترى أن العبادة والرياضة النفسية الصوفية تسلم إلى الفناء في الله، وإلى نوع من الغيبوبة فيه. وأن هذه الغيبوبة تشبه ما يتحدث به الخمارون عن الخمر، ولم يجدوا لها اسما خاصا فسموها سكرا، وسموا وسائلها خمرا. ويعتبر ذو النون المصري أول من استعمل ألفاظ الكأس والشراب مجازا في هذا المجال[133]..

-الكأس/القلب: يعي الشاعر اسماعيل زويريق أن الكأس في المفهوم الصوفي شارة إلى القلب وما يعتريه من حالات متعددة ومتنوعة.. تتأثر بها النفس والمزاج...ومن هنا نجد اسماعيل زويريق يخص القلب بقصيدة في الجزء الخامس تحت عنوان (الكأس) ص: 324،والتي يقول فيها:

حسبك الكأس إذا الوجد دعا * وشكا قلبك مما وجعا

من يرى بين ثناياها السهى * كيف لا يحييه منها ما جرعا

حركت أضواؤها النفس كما * حرك الشوق فؤادا مولعا

فجرى الشعر على ثغري كما * قد جرى بين الحنايا طيعا

[133] - الباقي،(عبد الكريم)، دراسات فنية في الأدب العربي، مطبعة دار الحياة،دمشق، ط1، 1972، ص:305

المحتوى

- تقديم:.....4
- الفصل الأول: المديح النبوي في (على النهج) 7
- التشكيل في (على النهج).....7
- المديح النبوي في (على النهج)1- مفهوم المديح.....10
- المديح الديني.....10
- المديح النبوي.....12
- البديعيات.....20
- المولديات.....27
- الشوقيات (قصيدة التشوق).....31
- الرباعيات.....34
- المخمسات أو المسمطات.....36
- المزدوج او الأرجوزة.....37
-ربط المديح النبوي بفن الملاحم.....40
- بناء قصيدة المديح النبوي عند إسماعيل زويريق.....44
- الحقول الدلالية في مديحه النبوي.....63
- الفصل الثاني: البنية الصوتية و الأسلوبية في مديحه النبوي.....73
- البنية الصوتية في مديحه النبوي.....74

- الظواهر الأسلوبية في شعره 80
- الأسلوب الخبري.....80
- الأسلوب الإنشائي.....100
- الفصل الثالث : البنية الإيقاعية في مديحه النبوي.....100
- الإيقاع والموسيقى.....101
- البنية الصرفية.....123
- التوازنات الصوتية(التوازي).....131
- الصورة الشعرية.....150
- ملامح الصوفية في مديحه النبوي.....160